فنون اسلامية صغرى

الفن قديم قدم الإنسان، يعبر الإنسان في كل ما يصنعه عن ذوقه وفكره وروحه، وقد تطور نتاج الإنسان الفني واختلفت مظاهره وخصائصه ، باختلاف الزمان والمكان. وعلى الرغم من هذا الاختلاف، إلا أن النتاج الفني يتسرب بسهولة بين البلدان والشعوب، نتيجة تنقل الافراد وتبادل المعرفة والخبرات أو بسبب التوسعات ، أو .....مما يجعل أوجه الشبه كبيرة بين فن وأخر ، في عصر من العصور. فالفن مظهر من مظاهر حضارة الشعوب والأمم وهو نتج لجهد متراكم ، تتبادله الأمم فتؤثر ، وتأخذ وتعطي بنسب تختلف من أمة لأخرى. لذلك عند دراسة فن من الفنون لابد من تحليل عناصره والتعرف على ماهو أصيل مبتكر فيه أو ماهو منقول ومقتبس من فنون الأمم الأخرى.

والفن يقصد به أنواع الفنون التشكيلية المسطحة كالرسوم والصور والتصميمات على مختلف الخامات وأنواع الفنون المجسمة كالأواني الخزفية والمعدنية والزجاجية ....الخ ، فالفن عند البعض يحاكي الطبيعة التي يعبر عنها أي ما يشبه الى حد كبير الأصل المصور واقعيا مستندا بذلك إلى أن الطبيعة هي أصل الإبداع ومركز الجمال ، في حين نجده عند الآخرين ما يخالف الأصل تماما أو ما لا يرتبط بأصل واقعي من الأصل فيصبح رمزا مجددا.

وبتقدم الدراسات المتعلقة بالفنون وتاريخ الفن بشكل عام اخذ العلماء في الآثار الإسلامية يعالجون مواضيع الآثار الإسلامية من وجهة النظر الفنية، إلا أن الدراسات في البدء كانت تتناول الفنون الإسلامية عامة وتعالجها كأنها وحدة لا تتجزأ ولكن مع تقدم البحث العلمي والاهتمام بالآثار الإسلامية تم التخصص في دراسة الفنون الإسلامية وتم تقسيمها إلى فرعين رئيسيين :

- فن العمارة وما يتبعها من الفنون الزخرفية كالنحت والفريسك والفسيفساء والنقش على الخشب والجص (الجبس) والرخام. بدأ يظهر الاهتمام بهذا النوع في كتب الرحلات وفي وصف وتصوير كثير من المباني التاريخية في الشرق الإسلامي. وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وضعت باكورة المؤلفات عن العمارة الإسلامية منها كتاب وصف مصر الذي وضع في أعقاب حملة نابليون وضم الكثير من الملاحظات والصور والخرائط عن المباني، ثم توالت الدراسات الخاصة بالعمارة منها المصرية والأندلسية والفارسية .... الخ ، ولكن الدراسات العلمية الدقيقة عن فن العمارة لم تظهر إلا مع بداية القرن العشرين، ثم تعددت الأبحاث والمؤلفات حول العمارة والزخرفة وأصبحت تؤلف أضخم فروع الدراسات في الآثار والفنون الإسلامية، فمنها ما درس فن العمارة الإسلامية كوحدة ودرس تطورها وخصائصها

في كل العهود والبلدان ومنها تخصص في دراسة عمائر إقليم من الأقاليم، ومن الدراسات ما تم التمييز فيها بين عمارة دينية وأخرى مدنية أو عسكرية والبعض الأخر درسها حسب وظيفتها أو قام بدراسة بناء بمفرده....

- أما الفرع الثاني فيعرف بالفنون الصغرى أو ما يسمى بالآثار المنقولة. درس هذا الفرع في البداية ضمن خصائص الفن الإسلامي وآثاره، ثم عولجت بحسب المادة أو الوظيفة الخاصة بها، فظهرت دراسات خاصة بالزجاج والخزف والفخار والعاج والمنحوتات ورسوم الميناتور والمعادن والسجاد وغير ذلك بما يتصل بالمادة التي تنتمي إليها القطعة الفنية أو الوظيفة التي صنعت من أجلها.

تميزت منطقة الشرق الأدنى بمنزلة رفيعة في ميدان الحضارة والفنون، ويعتبر عام ٣٢٣ ق م ، و ٥٧٠م أن لهما تأثير كبير في تطور فنون بلاد المنطقة فقد بدأت عناصر فنية غربية جديدة بالظهور بعد وفاة الإسكندر المقدوني الذي نجح في استبدال النفوذ الفارسي بنفوذ إغريقي واقتسام المنطقة بين قواده .

أما الفن الإسلامي فقد ولد بظهور الإسلام وتمت مراحل نضوجه بعد انتشار الدين الجديد في بلاد منطقة الشرق الأدنى،- أي بعد مرور قرنين من الزمن-، حيث تفاعل الدين مع التأثيرات الفنية المختلفة التي كانت موجودة في الحضارات السابقة ، فكان للدين الإسلامي الدور الكبير في ظهور الكثير من الفنون الإسلامية.

يتميز الفن الإسلامي عن غيره من الفنون القديمة بكونه من أوسع الفنون الإسلامية انتشارا، وذلك لاتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقا إلى اسبانيا غربا، ومن أسيا الوسطى والبحر الاسود وجبال البرنس شمالا إلى حدود صحاري السودان والمحيط الهندي جنوبا. ونظرا لاتساع الدولة الإسلامية واختلاف طرز وفنون شعوبهالمختلفة سنلاحظ اختلافا ظاهرا في بعض عناصر وأساليب المدارس الفنية الإسلاميةالتي تكونت بها، وعلى الرغم من هذا الاختلاف الجزئيسنجد ان هذه الفنون متشابهة في أصولها يجمع بينها ما عرف بالفن الإسلامي وسنجد أن لكل فترة لونها الخاص من الناحية الفنية.

كانت الفنون التي ظهرت قبل الإسلام في الجزيرة العربية مقصورة على الجزء الجنوبي منها وكانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالديانة الوثنية، كما أن الآثار الفنية التي ظهرت في بعض المدن ذات الأصل العربي الواقعة على الحدود السورية وفي بلاد اليمن ترجع إلى العصر الإغريقي والروماني. أماالمسلمون بالفنون فقد بدأ بعد انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وكان ذلك في عهد الخلفاء الامويين الذين تقلدوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين.

لقد استمر اهتمام الحكام المسلمين بفنون البلاد التي تكونت منها دولتهم الواسعة، والتي كانت مراكز حضارات عريقة ازدهرت فنونها قبل العصر الإسلامي وتكون لكل إقليم من الأقاليم التي خضعت للإسلام طراز وأساليب فنية محلية، وانتقلت هذه الأساليب من مكان لأخر كما أضاف الفنان إليها بعض الأساليب الجديدة التي تلاءمت مع الأحداث الاجتماعية الناشئة عن الدين الجديد، ولقد نتج عن هذا الامتزاج فنون ذات طرز وأساليب جديدة تختلف عن فنون البلاد الأصلية، ولقد نسبت هذه الأساليب الإسلامية الجديدة إلى مدارس فنية التي مرت في أول الأمر في ادوار او عصور سياسية مختلفة بدأت بفترة الخلافة الأموية ثم العباسية، كما تكونت خلافات إسلامية مستقلة في الأندلس ومصر وإيران وتركيا.

خضع الجزء الاكبر من العالم المتمدن في بداية القرن السابع الميلادي إلـ سيطرة دولتين وهما الدولة البيزنطية والساسانية ، إلـ أن تمكن العرب المسلمين من القضاء علـ كلتا الدولتين وتشيد دولة مترامية الأطراف.

غير أن العرب الوافدون من شبه الجزيرة العربية لم يتمكنوا من أن يتركوا لمسات تذكر في فنون العمارة والتصوير والنحت والزخرفة، باستثناء المناطق المتاخمة لإيران وبيزنطة التي تربطها بالمراكز الحضارية علاقات تجارية وثيقة، وكذلك الامر بالنسبة إلـ اليمن، غير ان التأثيرات التي عرفها عرب اليمن وبلاد الشام، أو بلاد النبط كانت متأثرة بالفنون الهلينية ، الايرانية، الرومانية والبيزنطية.
وقد تأثر الفن العربي الإسلامي في طور نشأته وفترة تأسيسه بفنون سابقة وسائدة في البلاد التي سيطر عليها العرب في بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وشمالي افريقيا، فحينما انتشر الإسلام كانت الفنون السائدة هما الفن البيزنطي والفن الساساني، انتشر الأول في الشام ومصر والشمال الإفريقي، في حين انتشر الفن الساساني في العراق وفارس وأطراف الجزيرة العربية. كانت هذه الفنون التي اعتمد عليها الفن الإسلامي في مرحلة نشأته، فاقتبس عنها، وطور عناصرها. ولابد هنا من الذكر أن كلا الفنين يرجعان إلـ أصول فنية كبرى سابقة ، منها شرقي من صنع الشعوب العربية القديمة التي كونت الحضارات في بلاد الرافدين والشام، وبعضها غربي، دخل مع الاحتلال اليوناني والروماني وتطور في ظلاله.

وبذلك كان الفن الاسلامي في بدايته قائما علـ اساس الفنون المحلية التي كانت مزدهرة في الأقاليم التي امتد اليها سلطان الدولة الإسلامية، اضافة إلـ الفنون الهلينية والقبطية والرومانية وفنون الهند والصين واسيا الوسطـ؛ تطورت الفنون السابقة في بوتقة الفن الاسلامي الوليد، فأكتسب سماته العامة التي تميزه عن سائر الفنون أكان في مجال العمارة ، النحت ، الزجاج، .....

اختلف علماء الآثار في تحديد درجة اسهام كل فن من الفنون القديمة في بناء وتطور الفن الاسلامي، فذهب فريق إلى أن الأساليب الفنية التي كانت تسود الهضبة الايرانية شكلت قوام الفن الإسلامي ، في حين رأى فريق أخر أن الفنون الهلينية والبيزنطية هي التي امدت الفن الإسلامي بعناصره الفنية؛ وكلا النظريتين صحيحتين، حيث أن كلا المركزين الحضاريين قد تركا بصماتهما الواضحة في الفن الإسلامي الذي استمد عناصره الرئيسية وأعاد صياغتها وقولبتها من كافة الفنون وذلك وفقا لمتطلبات المجتمع ومفهوم الفن الإسلامي.

ومن ثم ظهر الفن الإسلامي كمدرسة عالمية ، واسعة الامتداد جغرافيا وزمنيا، لها خصائصها المميزة التي تطورت خلال تاريخها الطويل وتفرع عنها مدارس فنية اشتهرت بها بلاد الشام في العهد العربي الإسلامي.

ورغم أن لكل حضارة من الحضارات الكبرى شخصيتها ومقوماتها الفنية الخاصة التي تدل على أصالتها ، إلا أن ذلك لا ينفي أنها خضعت في بداياتها لظاهرتي التقليد والاقتباس، التي كانت تزداد وتقوى مع تقدم الزمن ، نتيجة انكماش الحواجز القائمة وزيادة الصلات فيما بينها .

وقد تفاوتت الأعمال الفنية للأمم بحسب المبتكرات والتقانة والمواد التي وصلت وحصلت عليها وصبغتها بما لها من ذوق وثقافة فأضفت بذلك طابعا خاصا على اعمالها الفنية.

مع ظهور الاسلام ونشوء الحضارة العربية الاسلامية ظهر فن جديد هو الفن العربي الإسلامي ، أطول الفنون عمرا، خلال ١٣ قرن من القرن ٧ و ١٩ م ، بلاد تمتد مابين الصين وشمال اسبانيا، نشأ هذا الفن في الفترة الأموية وترعرع في منطقة بلاد الشام موطن الحضارات والفنون العريقة. ، وكان يعود أفول نجمها إلى تأثر المسلمين بالأساليب الفنية الغربية واستعمالهم بعض الوسائل الصناعية الأوربية، وإقبالهم على إنتاج كميات وافرة من المنتج وإغراق السوق بالتحف الرخيصة الثمن.

كان لهذه المدرسة الفنية العالمية مدرسة خصائص واتجاهات تميزها عن غيرها. وضمن اطارها الواسع بزغت مدارس عديدة تتميز عن بعضها بحسب المكان والزمان.

- لابد قبل التحدث عن الفن العربي الاسلامي في سورية وتطوره أن نجمل خصائص المدرسة الأم التي تنتمي اليها الفنون السورية طوال القرون.

- كان دور العرب في الفترة الأولى من نشوء الفن يتجلى في ميلهم للإنشاء والتعمير وتشجيع الإنتاج الفني وفي اهتمامهم بتجديد الأساليب وتطويرها لكي تنسجم مع اذواقهم وعقيدتهم وعاداتهم وتحقيق رغباتهم. لاسيما أن الفنون قديما كانت تلبية لرغبات الحكام وخدمة للدين.

- أفاد الفن الاسلامي من الفنون الساسانية والبيزنطية بشكل خاص فأخذ عنها وتأثر بها. الا أن القرن الأول قد شهد نتاجا معماريا جديدا يتجلى فيه الابداع والفن الاصيل من حيث الانشاء والتكوين ومن حيث استخدام العناصر القديمة المقتبسة. فطوروا هذه العناصر وحوروها واستخدموها بأسلوب مختلف يتفق مع الذوق الجديد والثقافة الجديدة. وكذلك في التوفيق بين العناصر المستوحاة من مختلف الاماكن، من أجل تكوين عمل فني جديد يميزه من يراه عن كل ما سبقه من أعمال فنية.

- أما بعد التأسيس والقرن الاول ، فقد راح الفن يبتعد بنتاجه الفني عن الأصول التي أخذ عنها كلما تقدم الزمن وكلما استمر التعديل والتجديد، حتى زال التشابه بين العناصر المعمارية والزخرفية في الفن العربي ومثيلاته في الفنون السابقة للإسلام، بدا هذا واضحا في السقوف أو القباب والابواب والتيجان والعقود وفي النقوش الزخرفية جميعها ، فضلا عن الهندسة والتخطيط.

- وكان من أهم اسباب ظهور الشخصية المتميزة والأصالة في الفن العربي الإسلامي أن طبيعة المنشآت الجديدة جاءت تلبية لحجات وشروط العقيدة الاسلامية والثقافة العربية.

اما بالنسبة إلى المعايير التي يقوم عليها الفن الإسلامي فيمكن اختصارها بعدد من المميزات لرسمها كرلرية تصوير الكائنات الحية: لا يوجد أي آية قرآنية تشير إلى تحريم أو النهي عن التصوير، مما يؤكد أن التكريه قد بني على أحاديث نسبت إلى الرسول الكريم، بالرغم من أن الرسول لم يكره التصوير ولم ينه عنه، وانسرذه العملية قد نشأت بين الفقهاء في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وذلك من أجل البعد عن الوثنية وعدم مضاهاة الله في خلقه والبعد عن الترف أيضا.

نجم عن اعتماد فكرة التكريه للتصوير ان أتجه الفنان المسلم إلى فكرة التحوير والتجريد، على خلاف الفنون الاوربية والهندية وغيرها من فنون المجتمعات الأخرى. ادىسرذا بدوره إلى انصرافه عن التجسيم والبروز واعتماد البعد الثالث في تشكيلاته الفنية ، وكذلك توزيع الضوء وبيان الظل أو الحركة ، بسبب اعتماده على الخطوط القاسية والحادة على النقيض من الفنان الغربي.

ونظرا لعدم مقدرة الفنان المسلم على مجاراة الواقعية الفنية فقد وجد في التحول نحو التصوير الهندسي وكذلك النباتي المجرد والخط العربي الفرصة لإبراز وجوده وطابعه الفني الخاص ، فبدأ باستخدام العناصر الهندسية والنباتية المتداخلة، واسرف في تحويرها وتركيبها وتشكيلها وفق مفهومسرندسي معقد (فن الارابيسك)، الذي اعتمد على ملئ المساحات الشاغرة، أو شكل القاعدة والإطار للعناصر الزخرفية من الخطوط العربية. إلا ان ذلك لم يكن يعني أن الفنان المسلم لم يقم باستخدام العناصر الزخرفية الحية من انسانية وحيوانية، بل عمل على تنفيذها بشكل محور بعيدا عن تمثيلها الطبيعي، وشكلها بصورة متداخلة مع العناصر الهندسية ، النباتية والكتابية.

أما على صعيد استخدام اللون في تنفيذ التشكيلات الزخرفية، فقد اتجه الفنان المسلم إلى استخدام الحدة اللونية لإبراز التقابل بين النور والظلمة، دون الاعتماد على عملية التدرج اللوني، يضاف إلى ذلك محدودية الالوان التي تم استخدامها فاعتمد على الالوان الرئيسية، مع التركيز على تخفيف شدتها اللونية في بعض الاحيان لإبراز التنوع اللوني في تلوين عناصره الزخرفية.

ومرد ذلك كله إلـ وحدة العقيدة والحضارة والثقافة والوحدة السياسية والـ التشابه في الإقليم ، وهناك عوامل أخرى أسهمت في تحقيق الوحدة الفنية تتلخص في الصلات الدائمة بين أقطار العالم الاسلامي التي توثقت عن طريق الأسفار ومواسم الحج، وتبادل السلع وارتحال الفنانين وتنافس الحكام علـ اجتذابهم.

- لكن لا يعني من الوحدة الفنية أن الاعمال الفنية تتطابق تطابق تام مع بعضها ، اذ لم تكن المنشآت التي تقام هنا وهناك وفي كل زمان تقليدا لنموذج معين. ، فقد أسهمت الاذواق والرغبات الفردية في تكوين المنشآت المعمارية وزخارفها وأسهمت معها كذلك التقاليد الموروثة ومواد البناء المتوفرة في اقليم وبلد .

ولا يجب علينا ايضا اغفال التيار السياسي ، وما كانت تحمله معها من تأثيرات معينة كان لها أثرها الكبير في تغيير ملامح الفن السائد وتوجيهه في خط سير جديد، الامر الذي أدى إلـ وجود مدارس فنية عديدة داخل نطاق الفن الاسلامي، المدرسة الأم، فكان لدينا الفن الأموي والعباسي ، و الفاطمي والسلجوقي والايوبي والمملوكي والعثماني.

- والملاحظ أن اسماء هذه المدارس الفنية تتوافق مع العهود السياسية البارزة في التاريخ، والسبب في هذا اننا نلحظ في بداية كل عهد سياسي أو لدى تولي أسرة حاكمة معينة ، ظهور اتجاهات وتأثيرات جديدة علـ ملامح الفنون والصناعات، لا تلبث أن تتوضح شيئا فشيئا، لتعطي نتاج ذلك العهد طابعا مميزا.

العصر الأموي ٤١-١٣٢ هـ/ ٦٦١-٧٥٠ م

ولد الفن العربي الإسلامي في ظل الدولة الأموية ، وفي بلاد الشام التي غدت في ذلك الحين تشغل المركز الأول بين مراكز الحضارة العربية الاسلامية. ولا بد هنا من معرفة البيئة التي ولد فيها والظروف التي أحاطت بنشأته من أجل فهم مقومات الفن الأموي وخصائصه.

الأمويون أسرة عربية كانت تسكن مكة قبل الاسلام ، وأسهم أفرادها في التوسع باتجاه دمشق، فاشتهر منهم يزيد وأخاه معاوية ابناء أبي سفيان.

حكم معاوية ، المؤسس لسلالة الخلفاء الامويين، بلاد الشام كوالي قرابة عشرين عاما، ثم انتقلت إليه الخلافة فحكم من مقر ولايته في دمشق عشرين عاما أخرى، وكان لانتقال العاصمة من المدينة إلـ دمشق

أثره الكبير على الحضارة العربية والدولة الإسلامية؛ حيث تغيرت سياسة الدولة وأسلوب الحكم في عهد الأمويين . فكانت الفترة التي حكمها الأمويون مرحلة جديدة من مراحل تطور الدولة الإسلامية تركت أثرها على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، ورسمت خلالها الخطوط الكبرى في انطلاقتها في طريق الحضارة وأخذها بأسباب العمران.

دام حكم الأمويون قرابة قرن ، وانتهى بثورة عارمة قام بها العباسيون سنة ١٣٢/٧٥٠ . حكم خلال هذه الفترة من أسرة بني أمية خلال هذا القرن أربعة عشر خليفة.

تمثل بلاد الشام البيئة التي نشأ فيها الفن الأموي، وعاصمتها دمشق. كانت هذه البيئة عريقة في حضارتها ، حيث عرفت فنونا مزدهرة خلال قرون عديدة ، كان أخر هذه الفنون ظهورا على أرضها الفن السوري المسيحي في عهد الدولة البيزنطية. كان تعد مكانا مناسبا لازدهار الفنون حيث يتوفر الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي ، وإرادة ورعبة من الحكام للإعمار والبناء ولتذوق الفن والجمال.

لقد تحقق في هذه الفترة من تاريخ بلاد الشام ، التمازج والتعايش بين القادمين الجدد الحاملين لعقيدة الإسلام وما فيها من بذور صالحة لإحداث الثورة الثقافية والحضارية. لقد تحقق التمازج خلال هذه الفترة بين هذا المجتمع بما يسوده من نظام ومبادئ وتعاليم وبين التراث الحضاري والفني المتراكم على أرض الشام، والذي تكون من التقاء حضارات الشرق بالغرب ، الحضارات الرافدية وحضارات البحر المتوسط الكلاسيكية. اضافة إلى ذلك كله، المجد السياسي والتوسع وامتداد نفوذ الامويين حتى الصين شرقا وجنوبي فرنسا غربا، وما تبع ذلك من ازدهار اقتصادي وغنى مادي وثقافي وبذلك ولد الفن الاموي، حجر الاساس في الفنون العربية والاسلامية .

كانت المادة الشائعة في الاستعمال في بلاد الشام هي الحجر، ، بينما في بعض المناطق كالبادية والجزيرة استعمل اللبن أو الأجر. وجلبت مواد أخرى من خارج المنطقة كالرخام ولربما الفسيفساء ايضا. اما ما يخص اليد العاملة، ففقد اتصفت بامتلاكها الخبرة يضاف اليها ما ورثته من تقاليد كانت في الغالب محلية ، وقدرتها على الاقتباس من خلال التراث المعماري القائم أمام أعين العاملين ، والتي شكلت بدورها مادة صالحة للتطوير والتحوير في اقامة المشاريع الجديدة. فأتقنوا العاملين المحليين صناعة البناء وزخرفته على الطريقة البيزنطية ، بالإضافة إلى فئة قليلة مجلوبة من مصر تحمل معها تقاليد قبطية أو مجلوبة من العراق وفارس وتحمل معها الفنون الرافدية والساسانية.

ولتحقيق الانسجام بين العوامل المؤثرة على مقومات الفن الأموي (العامل الروحي الذي يتجلى بما أدخله الاسلام من عقائد وافكار وثقافة وما أحدثه من تهيب للروح العربية، وروح العصر في طريقة الحياة التي رسم خطوطها التفاعل بين الثقافات المتعددة. أما العامل الاخر فهو العملي القائم على مواد البناء المستعملة في بناء العمائر بالإضافة إلى التراث المعماري القائم وما تم التأثر به والاقتباس عنه.، واليد العاملة ومالها من خبرة وقدرة على الاقتباس والتطوير مما ورثته من التقاليد السابقة. أما العامل الثالث

فهو الحاجة إلى الخلق والابداع، من تطوير لمخططات الابنية الدينية والمدنية وزخرفتها بما ينسجم مع الاحتياجات الخاصة بالدولة الاسلامية من عبادات دينية وأماكن للترفيه والسكن)؛ عمد الفنان إلى الاقتباس والاصطفاء من الفنون السابقة والمزج بين العناصر المختارة وتحقيق الانسجام فيما بينها ، كما عمل على استبعاد عناصر لا تتناسب مع روح العصر، وعوض عنها بمواضيع ملائمة، فأدى كل ذلك إلى الابتكار وخلق الفن الجديد.

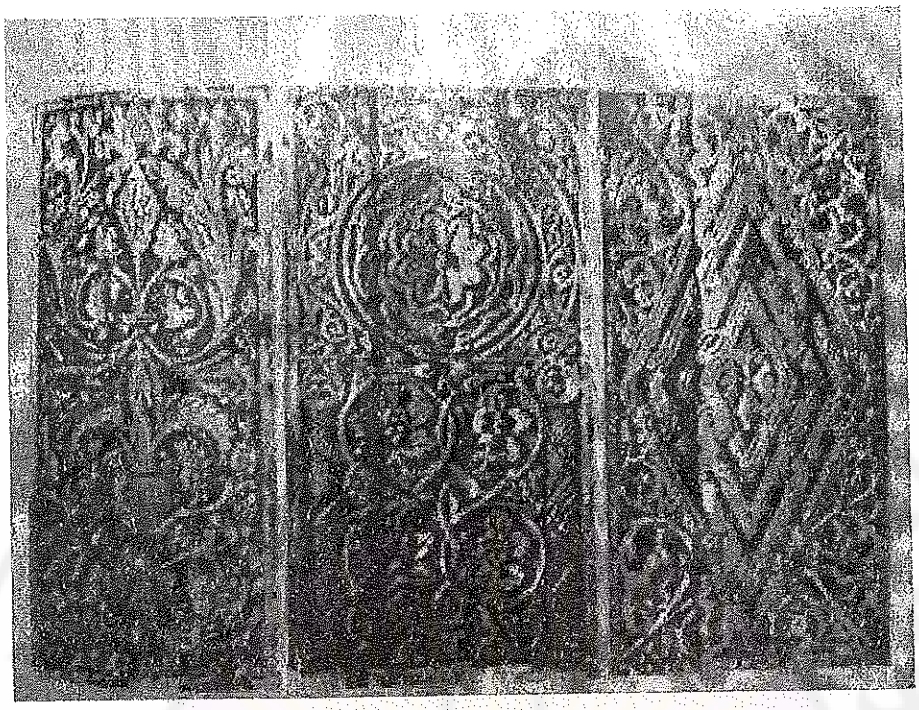
لم يعثر في العصر الأموي إلا على القليل من الصناعات الدقيقة ، وبالرغم من قلتها إلا أنها تشير إلى تقدم فن الصناعات الدقيقة في ذلك العصر المبكر.

١ - الحفر على الخشب:

على الرغم من أهمية الاخشاب في ميادين الابتكار والتطور بالنسبة للفنون الفرعية، غير أن كميات كبيرة من التحف الخشبية قد فقدت على مر الزمن، نظرا لكون الخشب مادة قابلة للتلف السريع سواء بفعل العوامل الطبيعية أو غيرها من العوامل التي ساعدت على ذلك نتيجة الحروب والاضطرابات والتي نتج عنها التخريب والسلب والحرق للمواد الخشبية، ومع ذلك فقد تم العثور على بعض النماذج الخشبية .

احتفظت صناعة النحت على الخشب في العصر الأموي بالأساليب الفنية التي كانت معروفة من قبل في سوريا فظلت عناصر الزخارف على الخشب متأثرة بالفنون السابقة على الإسلام لا سيما الهلنستية والساسانية.

من أحسن الزخارف تلك التي عثر عليها بالمسجد الأقصى في القدس، فضمت زخارفها وحدات من أوراق الاكانتس (هي ورقة "الأرضي شوكي" أو "الأكانتس" باللغة اليونانية، وهذه النبتة ترمز إلى التجدد والخلود لكونها تنبت وتتجدد بشكل مستمر دون سقاية ودون أي رعاية)، وتفريعات العنب، وكذلك نرى أشكال السلال التي تخرج منها الفروع النباتية (شكل ١). وقد عثر على أمثلة من نحت الخشب الأموي في العراق ومصر ، ومن أهم الألواح لوح خشبي بالمتحف الإسلامي بمصر يعود الى أوائل القرن الثامن الميلادي وتظهر فيه عناصر من الزخارف الساسانية (شكل ٢).



(شكل ١)- ثلاثة ألواح خشبية عثر عليها بالمسجد الأقصى – العصر الأموي

حوت المنحوتات الاسلامية على العديد من التراكيب الزخرفية المتعددة الاصول أو المطورة عنها:

- تعد حركة الاغصان والعروق الحلزونية التي كونت مناطق شبه دائرية من الظواهر الهلنستية حيث انتشرت في المناطق التي خضعت لنفوذ الاسكندر.

العناصر البصلية ذات الشكل البصلي هي عناصر هلنستية.-

- ترجع كوز الصنوبر في اصوله إلى الفنون العراقية القديمة، حيث وجد في الفن الاشوري ثم ظهرت في العهد الاموي.

- انتشرت اوراق العنب في كافة الحضارات السابقة محتفظة بخصائصها الطبيعية، ثم أصابها التحوير بعد دخولها الفن العربي الاسلامي في العصر الاموي وما بعده، على صعيد الحجم والشكل والتفرعات.

- ساق الشجرة المكون لمحور الزخرفة والذي ينتهي بالتوائين يعلوهما كوز الصنوبر، ظهر في زخارف العصر الاموي.

- الشرفات المسننة (الإشرطة الشبيهة بالمنشار) التي تعتمد في تكوينها على الخطوط المائلة والزوايا الحادة ترجع في اصولها إلى الفن الساساني، والتي تطورت عن الشرفات المكونة من الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة التي وجدت في الفنون الرافدية القديمة والفن الاشوري بشكل خاص.
- سادت الورود المفصصة كثيرا في الفنون القديمة ثم استخدمها العرب المسلمون بأشكال متعددة في زخارفهم
- عنصر الرمان الذي تشغله اوراق الاكانتس كانت معروفة في الفنون الهلنستية.



(شكل ٢)- لوح من الخشب متحف الآثار الإسلامية بالقاهرة- العصر الأموي

ويمتلك متحف بيناكي بعضا من التحف الخشبية الإسلامية النادرة، ومن هذه التحف مصراع باب من العصر الأموي بالعراق في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وقد عثر عليهما في مدينة تكريت. وتبلغ مقاييس المصراعين ٣٠٠ سم ارتفاعا و١٢٠ سم اتساعا، وهما منفذان بأسلوب الحفر العميق وزخارفهما عبارة عن رسم شجرة ذات فروع كثيرة وأوراق نباتية كثيفة وفاكهة، فضلا عن عناصر هندسية ونباتية أخرى، وتعد هذه التحف الخشبية النادرة من أهم وأقدم الأعمال الإسلامية المبكرة المعروضة بالمتاحف العالمية، والتي توضح الأصول الأولى لفن الزخرفة الإسلامية.

٢- المعادن:

في مرحلة فجر الإسلام تابع صناع التحف المعدنية انتاجهم من الاواني والادوات المعدنية وفق نمط إنتاج الصناع الساسانيين والاقباط المصريين.

لم يعثر على الكثير من القطع المعدنية التي يمكن نسبتها إلى العصر الأموي، ومن القطع القليلة التي تنسب إلى العصر الأموي عدد من الأباريق البرونزية موزعة على المتاحف العالمية، تميزت هذه الاباريق بأغلبيتها بأنها ذات مقبض طويل وصنبور أو ميزاب ممتد، وقد ظلت هذه الاباريق محتفظة بالتقاليد والمؤثرات الساسانية دون تعديل، باستثناء انتقال الميزاب من القسم العلوي للأنية إلى بطن الابريق، بحيث اتخذ الميزاب في أغلب الاحيان شكل طائر أو حيوان. يحتفظ متحف الآثار الإسلامية بالقاهرة بأحد هذه الأباريق، والذي ينسب إلى الخليفة الاموي مروان الثاني بن محمد أخر خلفاء الامويين. يتميز هذا الإبريق بقاعدته الصغيرة الدائرية والمنخفضة ، وبجسم كروي ورقبة اسطوانية ومقبض طويل، أما صنبوره فمشكل في صورة ديك يصيح، وأما جسم الإبريق فزخرف بنقوش قوامها دوائر وبداخلها وريدات، في حين تزين نهاية الرقبة زخارف من أشجار النخيل ويزين المقبض زخارف منقوشة بتفريعات نباتية وثمار الرمان(شكل ٣) . يلاحظ في شكل هذا الاناء وزخارفه تأثر الفن الاسلامي ببداية عهده بالفن الساساني. وبالرغم من التأثيرات الساسانية، فقد انتجت بعض الاواني ذات الجسم الإجاصي ذي التأثيرات الهلنستية الواضحة.



(شكل ٣)- إبريق من النحاس- متحف الآثار الإسلامية- العصر الأموي

العصر العباسي الاول (١٣٢-٤٤٧ هـ) ٧٥٠ – ١٠٥٥ م

١- الخزف:

توصل الخزافون المسلمون في القرنيين ٣ و٤ بعد الهجرة/ ٩ و ١٠ بعد الميلاد إلى اكتشاف أساليب جديدة في صناعة الخزف وزخرفته ، فكان ذلك أما بطريقة الحز كما هو الحال بالحفر عل ل المعادن او بالضغط عل ل العجينة لتكوين بعض الزخارف البارزة، كذلك استخدمت طريقة رسم الزخارف تحت الطلاء بلون واحد أو بألوان متعددة. وقد ساعد عل ل زيادة نشاط الخزافين ما استورده الخلفاء العباسيون من الخزف الصيني ذي التعريقات والبقع الملونة الذي كان يصنع في الهند في عهد أسرة تانج (٦١٨-٩٠٨ م)، فأجاد المسلمون تقليده ، وقد عثر عل ل هذا النوع من الخزف في سامراء والمدائن ونيسابور.

من اول ل الأمثلة التي تأثرت بالخزف الصيني مجموعة من الأواني تزينها زخارف هندسية أو نباتية عل ل الأرضية البيضاء. منها سلطانية (إناء من الفخار يأخذ الشكل الدائري) عثر عليها بالعراق مغطاة بطلاء شفاف رصاصي تزينها زخارف باللون الأزرق لأشكال نباتية (شكل ٤). وقد عثر في سامراء عل ل كمية كبيرة من هذا النوع من الخزف وانتشر أيضا في مراكز صناعة الخزف الأخرى فوجدت منه أمثلة في ايرن والفسطاط.



(شكل ٤)- سلطانية من الخزف – معهد الفنون بمدينة شيكاغو- ق ٣ هـ/ ٩ م -العصر العباسي

وينسب إلى أوائل العصر العباسي مجموعة من الأواني الخزفية زخرفت بطريقة الخطوط المحفورة او الزخارف البارزة ، وقوام هذه الزخارف أشكال هندسية ونباتية طبيعية ومجردة عن الطبيعة وقد تنتهي هذه الزخارف الهندسية بتفريعات من المراوح النخيلية او كتابات زخرفية تتشابه مع ما وجد في الخزف الصيني، ويغطى الإناء أحيانا بطلاء اصفر يشبه لمعان الأواني المعدنية (شكل ٥) .



(شكل ٥)- إناء من الخزف – مغط ـ بطلاء ذهبي ، متحف فرير بواشنطن – العصر العباسي

أما الابتكار الذي اهتدى إليه الخزافون المسلمون في العراق هو إكساب الإناء الخزفي بريقا معدنيا يختلف لونه من الأحمر النحاسي و الأصفر الضارب إلـ ـ الخضرة، وكان هذا البريق يكسب السطح لمعانا معدنيا يشابه لمعان الأواني المعدنية. وبذلك تمكنوا من الاستغناء عن الأواني الذهبية والفضية، ولم يكن هذا الخزف معروفا من قبل في البلاد الإسلامية.

وقد اقتصرت الزخرفة بالبريق المعدني عل ـ المنتجات الثمينة من الخزف التي تصنع لكبار رجال الحكم. ويتطلب صناعة هذا النوع من الخزف إحراق الإناء أول مرة بعد تجفيفه وطلائه بالدهان او المينا (مادة زجاجية مخلوطة بالرصاص تسحق جيدا وتمزج بأكاسيد المعادن الملونة)، ثم ترسم بعد ذلك الزخارف فوق الدهان بأكاسيد بعض المعادن وتحرق بعد ذلك في فرن ذي حرارة منخفضة، فيظهر بها بعد حرقها للمرة الثانية بريق معدني ذهبي اللون.

ولقد انتشر هذا الابتكار الفني في أنحاء العالم الإسلامي في العصر العباسي حيث عثر على نماذج من هذا الخزف المعدني في العراق وإيران ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وبلاد الشام ، ويعتقد العلماء أن مراكز صناعته اقتصرت في أوائل العصر العباسي على بغداد وسامراء وان النماذج التي ظهرت من هذا النوع في بقية البلاد الإسلامية ترجع إلى فترة بعد ذلك.

والى جانب ابتكار البريق المعدني اكتشف الخزافون أساليب جديدة في طريقة الزخرفة بالبريق المعدني وذلك برسم العناصر الزخرفية بألوان متعددة من الطلاء المعدني الأصفر والزيتوني والبني المحمر على الأرضية البيضاء المغطاة بالطلاء الشفاف (شكل ٦)، وقد استخدمت هذه الطريقة أيضا في البلاطات الخزفية التي تكسو الجدران ووجد منها أمثلة في بعض قصور سامراء وفي محراب جامع القيروان.
هذه الزخارف لم تقتصر على رسوم نباتية بل ظهرت الزخارف الحيوانية والآدمية منذ أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، واقتصرت ألوان الطلاء المعدني على لون واحد(شكل ٧).



(شكل ٦)- إناء من الخزف مزخرف بطلاء معدني ذي لونين- معهد الفنون شيكاغو- العصر العباسي



(شكل ٧)- إناء من الخزف بطلاء معدني مزخرف بعناصر حيوانية – متحف اللوفر بباريس – العصر العباسي

ولقد انتقلت صناعة الخزف ذي البريق المعدني من العراق الى إيران في العصر العباسي الأول وظهرت نماذج منه في مدينتي سوسة والري . ويعد الخزف ذو البريق المعدني أقدم أنواع الخزف الإسلامي الذي ظهرت به زخارف أدمية وحيوانية. ويتضح من بعض الزخارف التي وجدت على طبق مزخرف بالبريق المعدني بلون واحد تأثر الفنان بالوحدات الساسانية (شكل ٨).(ملامح الوجه طريقة عرض الزخرفة وتطبيقها)



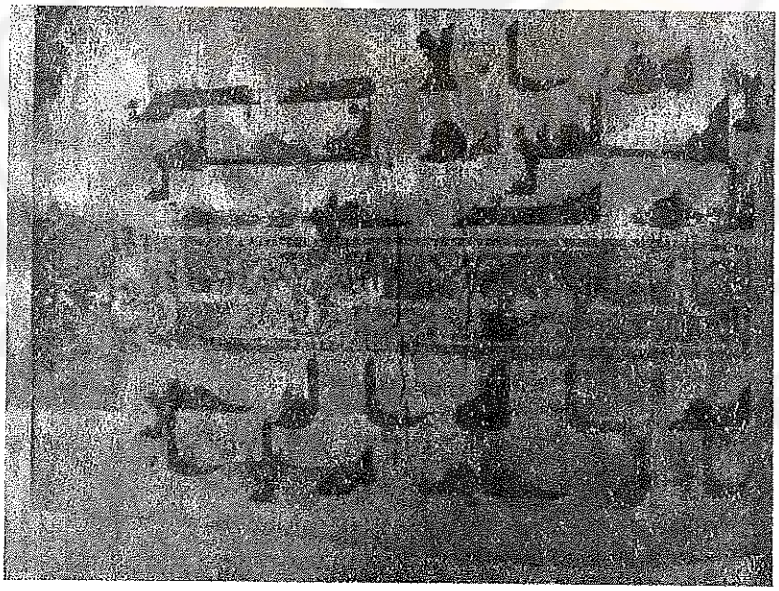
(شكل ٨)- إناء من الخزف مزخرف بالبريق المعدني وبه زخارف آدمية- متحف أشموليان- أكسفورد- العصر العباسي

٢ ـ الخط والتذهيب والتصوير والتجليد :

انتعش فن صناعة الكتاب في العصر الإسلامية، مدفوعا من رغبة الحكام المسلمين في عمل مصاحف جميلة لهم، فاستعانوا بأحسن الخطاطين لكتابتها وامهر المذهبين لزخرفتها. وكان من نتيجة نهضة فن الكتاب إن تطورت صناعة التجليد عند المسلمين وظهر لها شكل مميز منذ القرن ٧ هـ/ ١٣ م .

كان الخط العربي يكتب بأسلوبين: الأول هو الخط الكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة في العراق، ويتميز بحروف مستقيمة ذات زوايا حادة، أما الأسلوب الثاني فهو الخط النسخي وحروفه لينه مقوسة.
وقد استخدم المسلمون هذين النوعين في كتاباتهم منذ القرن السابع الميلادي، واستخدم الخط الكوفي في كتابة القرآن حتى القرن الحادي عشر الميلادي ثم حل محله تدريجيا الخط النسخي.

وتنسب إلى العصر العباسي بداية زخرفة المصاحف باللون الذهبي ، فكان يعد خاصة بالصفحات الأولى والأخيرة وعناوين السور القرآنية وتذهب بزخارف جميلة، وتظهر أحيانا الزخارف في علامات الهامش والنصوص الكتابية (شكل ٩).
وتدل زخارف المصاحف التي ترجع إلى القرن التاسع الميلادي في العصر العباسي على ان عناصرها مازالت متأثرة بأساليب من الفن الساساني كالمراوح النخيلية المجنحة.



(شكل ٩) – صفحة من مصحف مكتوب بالخط الكوفي – متحف المتروبوليتان – نيويورك- العصر العباسي

وكانت صفحات الكتاب تحفظ في أول الأمر بين لوحين من الخشب المزين بزخارف هندسية مطعمة بالعاج ثم استبدل بعد ذلك بالجلد.

٣-المنسوجات:

نشطت دور النسيج في أنحاء الدولة العباسية فتم إنتاج افخر المنسوجات، ، فأمدت مصر الدولة العباسية بالمنسوجات الكتانية المزخرفة بالخيوط الحريرية، في حين اختصت إيران بالمنسوجات الحريرية، ويتضح من خلال بعض القطع النسيجية الحريرية المزخرفة بالعناصر الحيوانية والمصنوعة في بغداد على تأثير الفن الساساني فيها (شكل ١٠) .



(شكل ١٠)- قطعة نسيج من الحرير مصنوعة في بغداد ١٠-١١ م – مدينة ليون باسبانيا. العصر العباسي

الطولونيون في مصر (٢٥٤-٢٩٣/ ٨٦٨- ٩٠٥م):

على الرغم من ان بعض البلاد التابعة للدولة العباسية قد استقلت سياسيا عنها كما هو الحال بالنسبة للدولة الطولونية والسامانية والبويهية والغزنوية، إلا انه يلاحظ ان الطراز العباسي ظل سائدا في هذه الممالك بالإضافة إلى طرزهم المحلية.

ففي مصر انتقل إليها الطراز العباسي على يد احمد بن طولون الذي ولد في بغداد ونشأ في سامراء ثم جاء إلى مصر عام ٨٦٨/٢٥٤ في عهد المعتمد أخر الخلفاء العباسيين الذين أقاموا بسامراء وذلك كوال من قبل الخليفة، ولكنه ما لبس أن استقل بحكم مصر وامتد نفوذه إلى الشام في عام ٢٦٥/ ٨٧٧ واستمر حكم الدولة الطولونية حتى عام ٢٩٣/ ٩٠٥ .

١- الحفر على الخشب:

كانت صناعة الأخشاب المنقوشة مزدهرة في مصر، واشتهر الأقباط بإتقان صناعتها، ولقد استمر ازدهار هذه الصناعة في العصر الإسلامي. وخير شاهد على ذلك الأخشاب الطولونية المنقوشة المحفوظة بالمتحف الإسلامي بالقاهرة والتي تتكون من أبواب وألواح وأفاريز ، ويظهر التطور العباسي واضحا في زخارف هذه الأخشاب حيث تنسب إلى أوائل العصر الطولوني الألواح التي تشتمل على العناصر الطبيعية **كالمراوح النخيلية وتفريعات أوراق العنب وعناقيده**، اما الألواح الخشبية الموجودة في باطن أعتاب مسجد ابن طولون فيظهر بها أسلوب طراز زخارف سامراء فتتميز أنها محفورة حفرا مائلا أو مشطوفا. وكذلك الأمر بالنسبة إلى لوح خشبي عثر عليه بمصر مزخرف بزخارف حية مجردة (شكل ١١).



(شكل ١١)- لوح من الخشب مزخرف بعناصر حية – متحف اللوفر – طراز عباسي في مصر

٢-الخزف:

كانت صناعة الخزف من أهم الفنون الصغيرة التي برع المصريون فيها في العصر الإسلامي الأول. وقد تبين من خلال دراسة ما عثر عليه من كسر خزفية تم إرجاعها إلى العصر الطولوني أن أساليب صناعتها في ذلك العصر ما هو إلا تقليد للنماذج العراقية ذات الزخارف البارزة التي وجدت في العراق في أواخر القرن ٨ م . ولكن مصر وصلت في أواخر القرن التاسع إلى إنتاج الأواني الخزفية ذات البريق المعدني مما دفع بعض العلماء إلى القول أن ابتكار البريق المعدني ينسب إلى مصر وليس إلى العراق.

٣-النسيج :

كانت صناعة المنسوجات مزدهرة في مصر قبل الإسلام على يد الأقباط، وكانت هذه المنسوجات كتانية مزخرفة بأشرطة مزينة بوحدات زخرفيه ملونة بخيوط الصوف ، ولقد ازداد الاهتمام بصناعة المنسوجات الفاخرة في العصرين الأموي والعباسي . فاستخدم الحكام مصانع النسيج الموجودة في مصر لإنتاج المنسوجات والتي عرفت بدور الطراز. وقد أمدت الدولة الطولونية الحكام في بغداد وسائر البلاد الإسلامية بالمنسوجات الكتانية والحريرية لإهدائها إلى كبار رجال الحكم، وكان اسم الخليفة وألقابه تنسج أو تطرز على شريط النسيج، بالإضافة إلى أشرطة تزخرف برسوم أدمية أو حيوانية أو نباتية (شكل

١٢) ويظهر نوع من التحوير في هذه العناصر الحية وفقا للتقاليد القبطية التي كانت متبعة لدى أقباط مصر.

وقد عثر على قطع نسيجية كتابية كثيرة من صنع مصر عليها أسماء الخلفاء هارون الرشيد والأمين والمعتضد والمقتدر وبعضها الأخر يحمل اسم الخليفة العباسي إلى جانب أسماء الحكام الطولونيين، وكذلك تشهد على الصناعة النسيجية أيضا قطعة نسيج كتانية عثر عليها في سامراء تدل الكتابة الموجودة عليها على أنها صنعت بمدينة تنيس بمصر في القرن التاسع الميلادي.



(شكل ١٢)- قطعة نسيج من العصر الطولوني في مصر- متحف الآثار الإسلامية في القاهرة

إيران وخراسان

١- الدولة البويهية (٣٢٠-٤٤٧ هـ/ ٩٣٢-١٠٥٥ م)

تمكنت الأسرة البويهية التي كانت تحكم في غرب إيران جنوبي بحر قزوين في أواخر القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي من الاستقلال سياسيا عن السلطة المركزية في بغداد، وتمكنوا من ضم أجزاء من غرب وجنوب إيران في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وتابعوا في التوسع غربا حتي وصلوا إلى بغداد وضموا بعض أجزاء العراق ، واستمروا في سيطرتهم للمنطقة حتى تمكن السلاجقة من طردهم بعد ذلك.

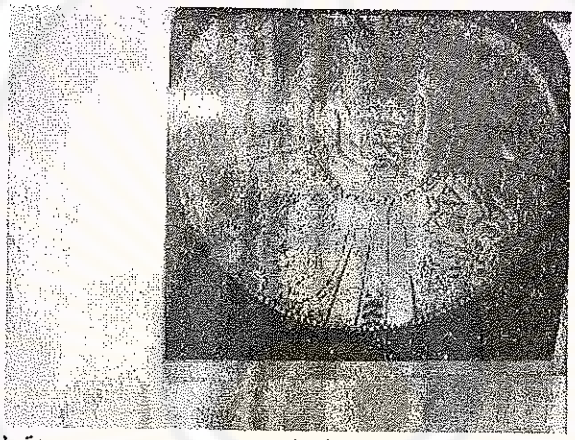


١- المعادن:

ورث الفنانون المسلمين في فجر الإسلام صناعة المعادن التي عرفت سابقا في العصر الساساني سواء في شكلها العام أو في الزخارف المطبقة عليها.واستمرت هذه التقاليد الساسانية متبعة في صناعة الأواني المعدنية في عصر البويهيين .

ينسب إلى هذا العصر عدة ميداليات ذهبية مزينة بنقوش لرؤوس أمراء البويهيين ، منها ميدالية موجودة بالمتحف البريطاني ، نقش على الوجه صورة الأمير عز الدولة واقفا يحف به شخصان وعلى الظهر نقش يصور عازف الأمير.

إلا أن تأثير التقاليد الساسانية يظهر واضحا في بعض الزخارف المنقوشة على بعض الأطباق الفضية التي صنعت لأحد كبراء إقليم أذربيجان في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي (شكل ١٣)، الأمر الذي دفع بعض العلماء إلى نسبتها إلى العصر الساساني . الا أن أسلوب العناية والدقة الذي ظهر في حفر هذه الزخارف يختلف عن الأسلوب الساساني، مما اثبت صحة نسبتها الى العصر البويهي، واعتبار هذه التحف المعدنية حلقة الاتصال بين الطراز الساساني والطراز الإسلامي الذي ظهر في إيران.



(شكل ١٣)- طبق فضي به زخارف حية، القرن ٤ هـ/١٠ م متحف مدينة طهران، ايران.

ومن الأواني المعدنية أيضا إبريق من الذهب صنع للأمير بختيار بن معز الدولة (٣٥٧-٣٦٧ هـ/ ٩٦٧-٩٧٧) . تظهر العناصر الزخرفية على هذا الإبريق ميل الفنان الى الاساليب الساسانية، منها استخدامه لعناصر الحيوانات المجنحة برؤوس آدمية منقوشة داخل جامات بيضاوية، وكذلك زين هذا الإبريق بعناصر من الزخارف النباتية وشريط من الكتابة الكوفية على فوهته (شكل ١٤).



(شكل ١٤)- أبريق من الذهب تظهر به زخارف على هيئة حيوانات مجنحة برؤوس آدمية – العصر البويهي ، القرن ٤ هـ/١٠ م – متحف فرير واشنطن

٢- الخزف:

كانت صناعة الخزف مزدهرة في إيران منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. وفي العصر البويهي استخدم الخزافون شتى الوسائل الزخرفية التي عرفت في أوائل العصر الإسلامي.

ويعتبر الخزف ذو الزخارف المحفورة الذي اشتهر باسم خزف (جبرى) من الأنواع المميزة التي عرفت في العصر البويهي وذلك لظهور عناصر زخرفية حية يبدو عليها مظهر الحياة تملأ سطح الإناء. وتظهر الزخارف في هذا الخزف بارزة مغطاة بالطلاء محاطة بمساحات محفورة حفرا عميقا في العجينة الحمراء المصنوع منها الإناء. ويمكن تمييز :نوعين من هذا الخزف ، الأول يتميز بلون واحد وحفر غير عميق أما النوع الثاني يتميز بتعدد ألوان الطلاء الزاهية التي تكون عادة بالألوان الأخضر والأصفر مع بقع خضراء، ويظهر في زخارف هذا النوع تعدد أشكال العناصر الحية كالحيوانات والطيور الخرافية، وكذلك وجد على بعضها زخارف آدمية (شكل ١٥). وينسب تصنيع هذا الخزف إلى المصانع الريفية الموجودة في شمال إيران .



(شكل ١٥)- طبق من الخزف - القرن ٤هـ او ٥ هـ/ ١٠ م – متحف المتروبوليتان –نيويورك العصر البويهي.

٣- المنسوجات:

كانت صناعة النسيج مزدهرة في إيران في العصر العباسي ومتقدمة في العصر البويهي. ومن المنسوجات التي تنسب إلىهذا العصر قطع حريرية ترجع صناعتها إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. زينت هذه القطع بزخارف حية ونباتية كانت معروفة قبل الإسلام إلى جانب العناصر الكتابية،كالحيوانات المجنحة أو شجرة الحياة التي يحفها حيوانان او طائران ، والآدمي الذي يصارع أسدين (شكل ١٦)، إلا أن العناصر الكتابية التي تزينها ساعد على تمييزهذه القطع وصبغها بالصبغة الإسلامية.

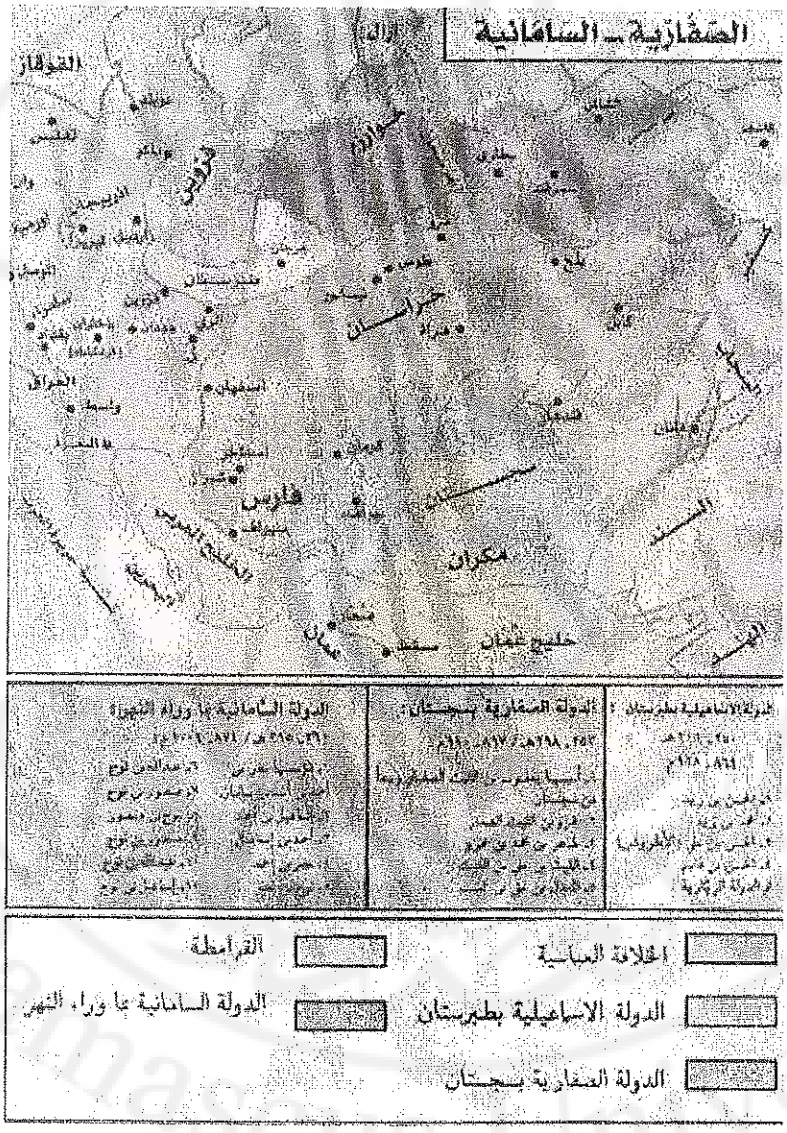


(شكل ١٦) - قطعة نسيج مستمدة من أساطير بلاد النهرين القديمة – القرن ٤ هـ/ ١٠ م – متحف اللوفر

Damascus University

الدولة السامانية ٢٦١-٣٨٩/ ٨٧٤-٩٩٩ :

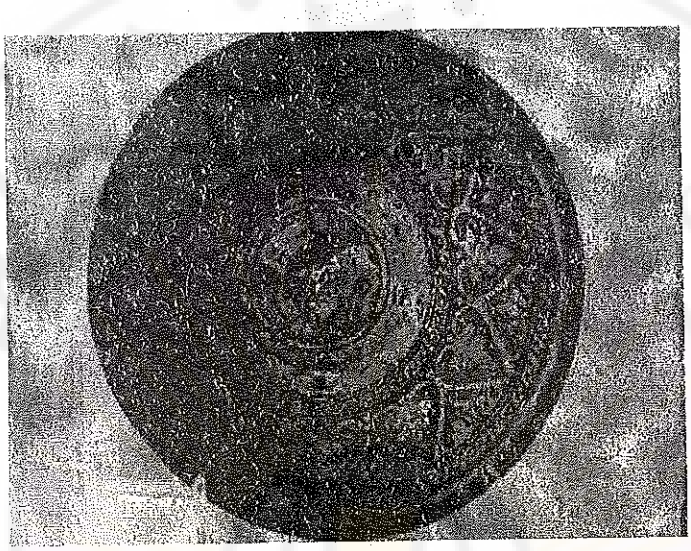
استقرت هذه الأسرة التي يرجع نسبتها إلى سامان في بلاد ما وراء النهر وكانت عاصمتهم الأولى بخاري ثم سمرقند (إقليم كردستان) وفي عام ٢٨١/ ٩٠١ تمكنت هذه الأسرة من ضم خراسان إلى سلطانها بعد أن كانت تحت يد الصفاريين. ويعتبر عصر الدولة السامانية من أزهى عصور الأقاليم الإسلامية، ويعد عصر النهضة للفن الإيراني.



١ ـ الخزف :

ازدهرت هذه الصناعة في نيسابور، وصارت سمرقند منذ القرن التاسع الميلادي مركزا مهما لصناعة الخزف وخصوصا بعد ضم إقليم خراسان إلى الدولة السامانية.

وتدل اللقى الخزفية التي عثر عليها سواء في نيسابور أو سمرقند أن الخزف ذو الزخارف المرسومة هو الذي كان مفضلا عند السامانيين، وذلك على الرغم من إتقانهم للخزف ذي الزخارف المحفورة (شكل ١٧) . وقد عثر في نيسابور على انواع من الخزف مقصور عليها ، وكذلك وجدت بها أوان خزفية تشابه ما عثر عليه في سمرقند.



(شكل ١٧) طبق من الخزف به زخارف محفورة – العصر السامانى- القرن ٤ /١٠، متحف اللوفر بباريس

زخرفت أواني نيسابور بأشكال نباتية وطيور وحيوانات ووحدات آدمية وأشرطة من الكتابة الكوفية ، ورسمت هذه الزخارف بلون واحد أو بعدة ألوان. فكان يغطى الإناء بلون واحد ثم يوزع على السطح العناصر الزخرفية الملونة التي تكاد تغطي سطح الإناء، وكان يعنى في جذب الانتباه إلى هذه الزخارف استخدام الألوان القوية كالأسود والأخضر والأصفر. وينسب إلى هذا الفترة سلطانية ترجع إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي زخرفت بوحدات آدمية وحيوانية ونباتية بالألوان الأسود والأصفر والأخضر على أرضية بيضاء ، تظهر بها الوحدات الرئيسية التي تزين الجزء المتوسط من السلطانية مرسوم بحجم كبير ويحيط بها زخارف نباتية وطيور تغطي الأرضية، اما الاطار الخارجي فشغل بزخارف كتابية (شكل ١٨) . ويعتقد أن زخارف الأواني ذات الألوان المتعددة انتقلت عناصره من المخطوطات المصورة .



(شكل ١٨) سلطانية من الخزف من نيسابور- القرن ٤ هـ/ ١٠ م – متحف المتروبوليتان

اهتم الخزافون في خراسان وسمرقند أيضا بالزخرفة الكتابية وأولوها جانب كبير من الاهتمام ، وأفضل الأمثلة علىهذا مجموعة من الأواني ذات كتابات بلون أسود أو بني غامق أو بنفسجي على طبقة بيضاء تحت الصان. وتتكون الزخرفة الموجودة على سطح الإناء من كلمة واحدة في قلب الإناء أو من بعض الكلمات حول حافته، وقد تظهر مع الكتابة مراوح نخيلية أو طيور، أو يضيف الفنان أحيانا بعض الخطوط القصيرة بلون أحمر فوق الكتابات السوداء (شكل ١٩) وهذا مالا نراه في سائر أنواع الخزف الإيراني، أو يرسم الحروف باللون البني الغامق ثم يحدها باللون الأسود.



(شكل ١٩) طبق من الخزف من نيسابور ، زخارف كتابية باللون الأسود والأحمر، متحف فرير واشنطن

تشير حفائر نيسابور على أن الخزافين تمكنوا من إنتاج أوان في غاية الدقة والجمال في القرنين التاسع والعاشر الميلادي، وحاولوا استخدام أسلوب الزخرفة بالطلاء المعدني الذي كان موجود في العراق ،إلا أنهم لم يتمكنوا من التوصل إلى تطبيقه، حيث يلاحظ على بعض الأواني أن الخزافين قد قاموا بمحاولات لتقليد طريقة الخزف ذي البريق المعدني وذلك بتغطيته ببريق لامع.

٢- المنسوجات :

كانت سمرقند مركز مهم لصناعة النسيج ، ويرجع العلماء بعض القطع المنسوجات الحريرية الموجودة في بعض المتاحف والمزينة بأزواج من الحيوانات داخل دوائر إليها. إلا انه أمكن نسبة إحدى هذه القطع إلى خراسان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وذلك من خلال الكتابة الموجودة عليها. حيث يلاحظ على هذه القطعة أطار زخرفة بكتابة كوفية كتب فيه اسم القائد أبي منصور بختكين (ت ٣٤٩ / ٩٦٠) ، الذي كان في بلاط "عبد الملك بن نوح" أمير خراسان وبلاد ما وراء النهرين. ويظهر في زخارف هذه القطعة فيلان متقابلان يحف بهما صف من الجمال والطواويس (شكل ٢٠).



(شكل ٢٠) قطعة نسيج – إقليم خراسان – ق ١٠/٤ – متحف المتروبوليتان.

الغزنويون (٣٥١-٥٨٢/٩٦٢-١١٨٦) :

تمكنت الأسرة التركية الحاكمة في ولاية غزنة (أفغانستان حاليا) من الاستقلال سياسيا عن الخلافة العباسية في بغداد. ويعتبر سبكتكين المؤسس الأول للغزنويين، حيث تمكن من الاستيلاء على مدينة بيسابور وتمكن من أخذ خراسان قبل أن يتم تعينه من قبل نوح السامانى رسميا على حكم تلك الأنحاء في سنة ٣٨٤/٩٩٤ . ونجح

خليفته محمود الغزنوي في توسيع رقعة دولته وذلك بضم شمالي الهند وإقليم البنجاب. انتهى حكم هذه الأسرة التركية بغزو السلاجقة.



ويعد طلاء الأواني الخزفية بالبريق المعدني من أهم الفنون التي انتقلت إلى أفغانستان والبنجاب وطبقت هناك.

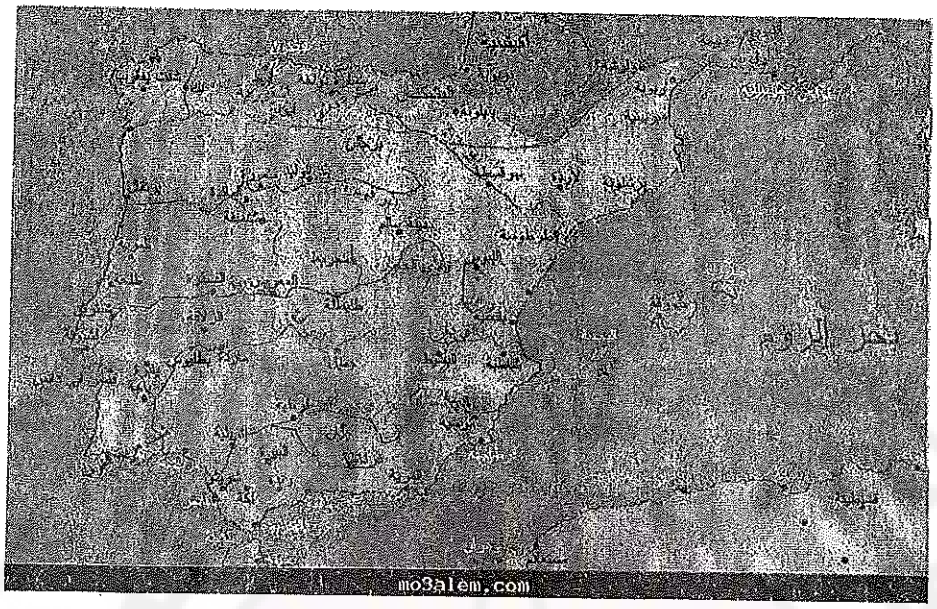
وبذلك يتضح أن انتقال الخلافة العباسية من دمشق عاصمة الأمويين إلى العراق كان له أثر كبير في الحضارة الإسلامية، وبدأ ظهور أسلوب جديد بعد تشييد مدينة بغداد، حيث كانت في البداية متأثرة بالتأثيرات الكلاسيكية الموجودة في سوريا. وكان من نتيجة انتشار الفنون الإيرانية على يد العناصر الفارسية التي استعان بها الحكام في الخمسين السنة الأولى من حكمهم، بدء حقبة جديدة في الفن الإسلامي تظهر بها المؤثرات الفنية الساسانية، في الوقت ذاته الذي قلت فيه الأساليب الهلينستية والبيزنطية. وكذلك تأثر الفن العباسي بفنون الأتراك الذين ظهر نفوذهم لأول مرة في العصر العباسي ، حيث اكتسب الفن الإسلامي عناصر وأساليب زخرفية مستمدة من

أواسط أسيا لم تكن معروفة في الفن البيزنطي والفن الساساني. ولقد بدأ ظهور هذا الطراز في مدينة سامراء. وتعد طريقة الحفر المشطوف التي ظهرت في المنحوتات الحجرية والجصية والخشبية في أوائل العصر العباسي ابتكارا خاصا بطراز الفن العباسي الذي طعم بالفن التركي. ويرجع إلى هذا العصر ظهور زخارف مجردة عن العناصر الطبيعية الكلاسيكية، ولقد أثرت هذه الزخارف الهندسية في تطور زخرفة التوريق ، ويعد ذلك الخطوة الأولى في ابتداء ظهور أسلوب زخارف الفن الإسلامي الذي عرف بفن الأرابيسك. ومن أهم انجازات العصر العباسي اكتشاف طلاء الأواني الخزفية بالبريق المعدني ، ولقد انتشر هذا الأسلوب إلى بقية العالم الإسلامي، فظهر في مصر في العهد الطولوني، وفي إيران في عصر البويهيين، وفي خراسان وبلاد ما وراء النهر على يد السامانيين، وفي أفغانستان والبنجاب على يد الغزنويين.

طراز العصر الأموي في أسبانيا: ١٣٨-٤٢٢ هـ/٧٥٦-١٠٣١

استولى المسلمون على اسبانيا بين سنتي ٩١ و ٩٣ هـ/٧١٠-٧١٢ ، وحتى سنة ١٣٨/ ٧٥٦ أصبحت كباقي الولايات الإسلامية التي خضعت لهم وكانت تدار من قبل الولاة الذين يعينون من قبل الخلافة.

تمكن عبد الرحمن أحد أحفاد هشام الخليفة الأموي العاشر من الفرار من بطش العباسيين إلى شمال أفريقيا ثم إلى أسبانيا، وفي عام ١٣٩/ ٧٥٦ استطاع تأسيس دولة أموية ذات حكم مستقل في الأندلس، وتم اختيار قرطبة عاصمة لها. وبالرغم من أن الأندلس فتحها العرب منذ ٩٢ /٧١١ ، إلا أنه لم تظهر بها آثار الحضارة الإسلامية وفنونها، إلا بعد أن أصبحت قرطبة عاصمة للحكم الأموي، وكان بذلك بدء ظهور طابع إسلامي عربي في قرطبة. ولكن حكم هذه الدولة انتهى عام ٤٢٢ / ١٠٣١ باستيلاء عدد من أسر البربر المسلمين الذين يحكمون في شمالي أفريقيا على حكم بلاد الأندلس، وهم قبائل ملوك الطوائف، والمرابطين، والموحدين.



نتج عن فتح العرب لإسبانيا بدء اتصال فنون وصناعات الشرق الأدنى الإسلامي بالبلاد الأوربية الغربية، فتميز الفن الأموي بالأندلس باحتفاظه ببعض الأساليب الكلاسيكية التي وجدت في أوائل مراحل الفن الإسلامي في العصر الأموي الأول ، كذلك بخلوه من نفوذ التأثيرات الفنية الأسيوية التركية التي ظهرت وانتشرت في فنون الشرق الإسلامي.

١ ـ الخزف:

الأواني التي عثر عليها في مدينة الزهراء، والتي يحتمل أن تكون من صناعة الخزافين في بلنسية وملقا أو قرطبة، تشمل زخارفها على طيور ووحدات نباتية وعناصر كتابية مرسومة باللون الأخضر والبني الداكن فوق أرضي بيضاء. وكذلك وجد بنفس المدينة بقايا أوان خزفية ذات بريق معدني، يحتمل أن تكون مستوردة من أحد مراكز الخزف العباسية التي اشتهرت بالبريق المعدني كسمراء أو من المراكز المتواجدة في إيران.

٢ ـ النحت على العاج:

من أفضل ما خلفه النحاتون الأمويين في اسبانيا علب من العاج مزخرفة بنقوش مزدحمة تغطي جسم العلبة وغطاءها، نفذت زخارفها بطريقة الحفر العميق. تشمل الزخارف علىهذه العلب موضوعات الطرب في البلاط ومناظر الصيد، ويحمل الكثير منهذه العلب أسماء أصحابها وتاريخ صناعتها. من أكثر التحف العاجية جمالا علبة خاصة بالأمير المغيرة ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر صنعت في قرطبة ، يغطي سطحها زخارف دقيقة وضعت في مناطق ذات ثمانية فصوص ، الموضوع الرئيسي عليها

يصور شخصين جالسين على أريكة يحملها حيوانان متدابران، ، ويقف وراء الشخصين سيدة تحمل آلة موسيقية ، ويزخرف باقي السطح زخارف ذات عناصر آدمية وحيوانية ونباتية مأخوذة من موضوعات الصيد والطرب (شكل ٢١) ، أما العلب التي صنعت في قونية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فيبدو ان زخارفها النباتية كانت تجريدية وكان حفرها قليل العمق . ويرجح مؤرخو الفنون أن مكان صناعة العلب التي تعود إلى القرن الرابع وبداية الخامس الهجري/ العاشر الميلادي يعود إلى مدينة قرطبة، أما العلب التي تعود إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فتنسب إلى قونية.



(شكل ٢١) علبة من العاج – العصر الاموي بأسبانيا- متحف اللوفر

٣- النسيج :

ازدهر صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس وكان لها مراكز كثيرة في مرسية وأشبيلية والمرية. واستخدم في زخرفتها زخارف لأزواج من الحيوانات المتقابلة أو المتدابرة في دوائر، أو جامات تضم عناصر حية ذات أسلوب محور (شكل ٢٢).

تميز الفن الأموي في الأندلس بأسلوب جديد خاص به، وهو الميل نحو تحوير الوحدات الزخرفية ولكن بأسلوب يختلف عن الأشكال النباتية التي عرفت في سامراء ، وساد هذا الأسلوب في جميع ما أنتج من الأشغال الفنية.



(شكل ٢٢) قطعة نسيج من الحرير بها زخارف حيوانية – العصر الأموي – أسبانيا- أكاديمية التاريخ بمدريد.

طراز العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧ / ٩٦٩-١١٧١):

تمكن الفاطميون من الاستيلاء على حكم المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري/أوائل القرن العاشر الميلادي، واتخذوا في بدء أمرهم القيروان عاصمة في عام ٨٨٤/٢٩٧ ثم في عام ٨٩٠/٣٠٣ شيدت عاصمة جديدة عرفت باسم المهدية قرب تونس واتخذت عاصمة لهم ، وبعد أن مضى على حكمهم نصف قرن تمكنوا من ضم مصر والشام إلى المهدية، و نقلوا مركز حكمهم من المهدية إل ل عاصمة جديدة شيدها جوهر الصقلي في مصر وأسماها القاهرة، وشملت الخلافة الفاطمية بلاد المغرب والشام وبلاد اليمن وجزيرة صقلية.



خلال القرن الأول من حكم الفاطميين ازدهرت الآداب والعلوم والفنون، واستمر الازدهار الفني في مصر حتى خلال فترة ضعف الدولة الفاطمية، فامتدت ثقافتهم وفنونهم إلى خارج مصر، واستمر ظهورها في صقلية حتى بعد أن استرجعها ملوك النورمان ٤٦٤ /١٠٧١ ، وكذلك ظل تأثير الثقافة الفاطمية على موطنهم الأصلي في أفريقيا قائما بعد أن فقدوا سلطانهم عليها واستقل عمالهم في القرن الحادي عشر الميلادي.

١ - النحت على الخشب والعاج:

تطور الحفر على الخشب في العصر الفاطمي ، وتمكن الصناع من إنتاج حشوات محفورة بأشكال نباتية وحيوانية و آدمية. تدل الألواح الخشبية المصنوعة في أوائل العصر الفاطمي على استمرار الحفر المائل ولاسيما في تنفيذ التفريعات النباتية الذي كان من مميزات العصر الطولوني لفترة من الوقت . ثم تبتدئ الموضوعات الطولونية في الاختفاء تدريجيا بعد ذلك والتخلي عن أسلوب النحت المائل الذي كان يميز عصر سامراء العباسي. ويبدأ الفنان بمعالج الموضوعات النباتية المطبقة بدقة أكثر ، كما أقبل على استخدام الأشكال الحيوانية كعناصر زخرفية (شكل ٢٣).



(شكل ٢٣) حشوة خشبية مزخرفة بنقوش لتفريعات نباتية- العصر الفاطمي- ق ١١/٥ – المتحف الإسلامي بالقاهرة.

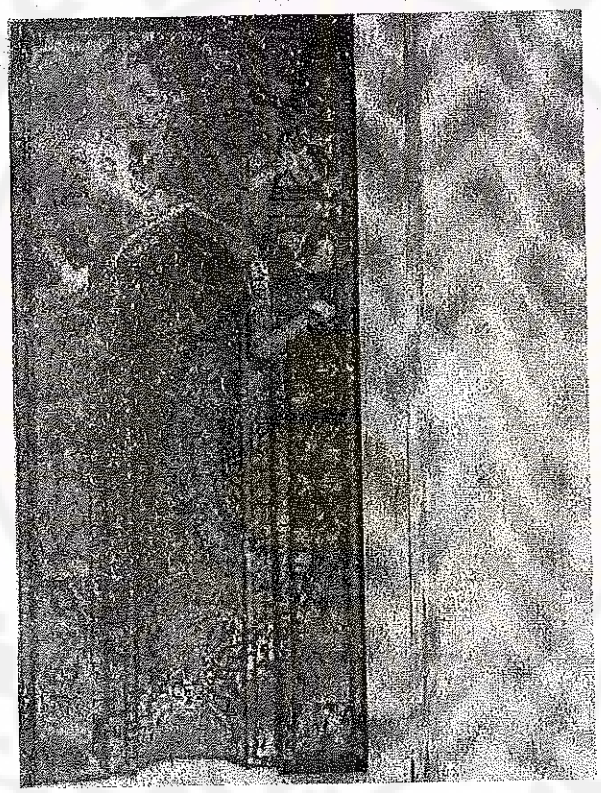
وخلال الفترة التالية استكمل الفن الفاطمي طابعه المميز بكثرة استخدام الكائنات الحية الآدمية والحيوانية في زخرفة الألواح الخشبية ، فتنقش مناظر تمثل حياة صاحب القصر، كذلك بعض نواحي الحياة الاجتماعية، منها ما يمثل أمراء في مجالس الطرب والشراب أو مناظر الصيد ومناظر من الحياة العادية (شكل ٢٤) فقد كان الفاطميين يقبلون على استخدام الموضوعات الآدمية قبل قدومهم إلى مصر ، والتي تم اقتباسها من الفن ما بعد الساساني الذي انتشر في إيران والعراق في العصر العباسي.

نجد كذلك أن الفاطميين استمدوا من الأقباط أسلوب وموضوعات زخارف أخشابهم برسم صور دينية ومناظر من حياتهم وأعمالهم إلى حوالي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عندما تبدلت هذه الصور فيما بعد في العصر الفاطمي بأشكال هندسية ونباتية تتخللها صور الطيور والحيوانات.



(شكل ٢٤) لوحان خشبيان – العصر الفاطمي – القرن ١٠/٤ –المتحف الإسلامي بالقاهرة.

ويظهر في أواخر العصر الفاطمي أسلوب زخرفي جديد في نقوش الأسطح الخشبية، فتظهر أشكال نجمية وسداسية بها زخارف نباتية يجمعها الفنان بعضها إلى جانب بعض لتكون الشكل الهندسي المطلوب . يتمثل هذا الأسلوب الزخرفي الجديد في محراب السيدة نفيسة حيث تزين واجهة المحراب حشوات بداخلها زخارف من التفريعات النباتية الدقيقة العميقة الحفر، وتكون كل ست حشوات منها شكلا نجميا (شكل ٢٥)، ويزين جوانب المحراب حشوات مستطيلة مزخرفة بوحدات من أوراق العنب وعناقيده المتفرعة من آنية، ويلاحظ في تنفيذ هذ الحشوات أن بعضها محفورة بعمق ظاهر والبعض الأخر قليل العمق. ويعد هذا المحراب أقدم قطعة خشبية ظهر فيها هذا العنصر الزخرفي الهندسي الذي شاع استخدامه فيما بعد في العصر المملوكي.



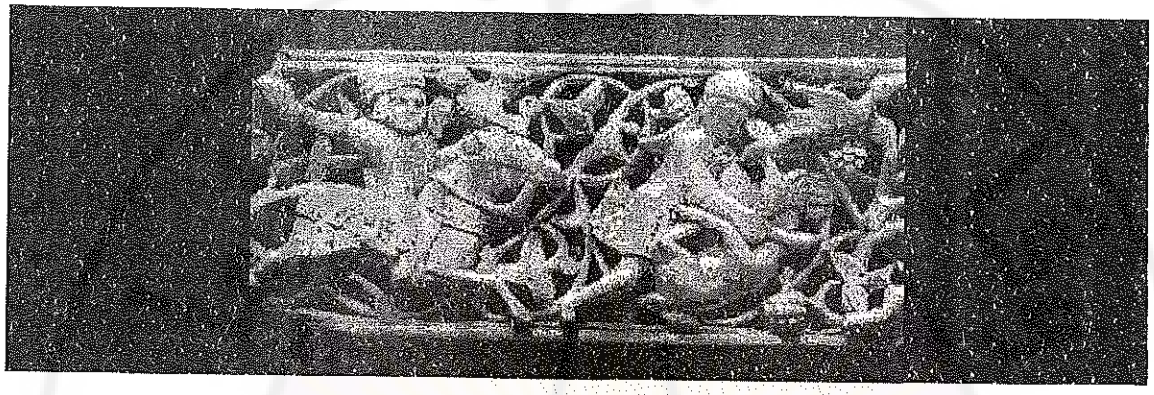
(الشكل ٢٥) محراب وجد في ضريح السيدة نفيسة- القرن ٦ هـ - المتحف الإسلامي بالقاهرة- العصر الفاطمي.

العاج :

كانت تشمل العناصر المصنوعة من العاج خلال العصر الإسلامي على علب الجواهر المستطيلة أو الأسطوانية والسبحات والأمشاط ورقع الشطرنج وغيرها.وعلى الرغم من ازدهار صناعة العاج في العصر الفاطمي إلا أن القطع التي وصلتنا منه قليلة نسبيا قياسا بالمواد الأخرى. ويوجد نماذج من التحف

العاجية محفوظة في متحف الفن الإسلامي في القاهرة وينسبها الباحثون إلى نهاية العصر العباسي والعصر الفاطمي. منها مناظر والصيد (شكل ٢٦) الطرب والشراب والرقص والموسيقا وزخارف كتابية تتضمن آيات قرآنية أو أدعية.

فأنتجت مصر في العهد الفاطمي حشوات عاجية مزخرفة بعناصر نباتية وحيوانية وآدمية ولقد عثر على بعض هذه القطع في مدينة الفسطاط وهي محفوظة بدار الآثار الإسلامية بالقاهرة.



(شكل ٢٦) زخارف عاجية لمشاهد صيد- العصر الفاطمي.

وينسب إلى العصر الفاطمي حشوات بديعة من العاج نفذت بطريقة النحت البارز (شكل ٢٧)، تمثل أشكال حيوانية على أرضية من فروع نباتية حفرت بعمق. ونجد هذه الجمالية الفنية التي انتشرت في العهد الفاطمي على ركائز من العاج أو الخشب، كاللوحة التي تمثل نصفية لأحصنة في متحف الفن الإسلامي في القاهرة. وابتداء من القرن السدس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، كانت أرضية اللوحات كهذه مخرمة أحيانا، كما هو الحال للوحات الصغيرة العاجية الموجودة في متحف اللوفر.

أما الأشكال الزخرفية من عناقيد عنب (أو أكواز صنوبر) وأوراق تتدلى من فروع نباتية ملتوية، فهي تدل على منبعها وأصلها. فزخارف عناقيد العنب كانت منتشرة في العهد الروماني، وأخذها الحرفيون المسلمون ابتداء من العصر الأموي ولكن بأسلوب منمنم. أما الحيوانات والأشخاص فهي تظهر بحيوية وأوضاع مختلفة.

يظهر على الضلع العلوي ثلاثة فرسان ببزة في وضعية صيد : الأول على اليمين يستعد لركوب حصانه والثاني في الوسط منطلقا بجواده ويمسك الباز في يده اليسرى والثالث في أقصى اليسار منطلقا بجواده نحو اليمين وأمامه حيوان ربما يكون أرنبا. ويُشاهد ثلاثة أشخاص في حركة جري : الأول يمينا يحيطه كلبان والآخران يسارا ويحملان حيوانات ربما كانت غزلانا، وكلاهما يسقي صيده من أناء.

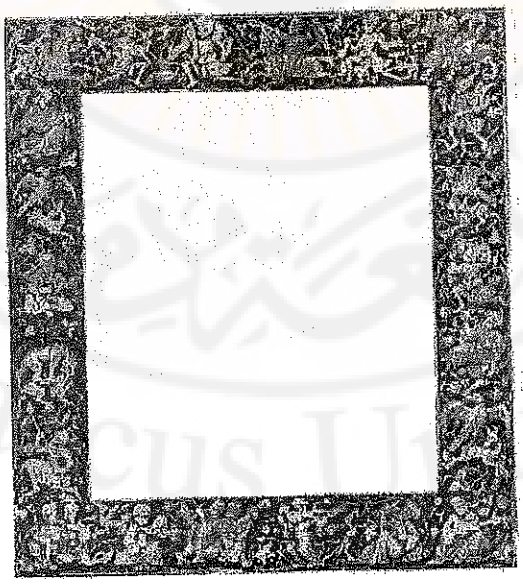
أما الضلع السفلي فهو مزخرف بمناظر شراب وطرب حيث نشاهد عازفين على العود والناي. ونجد على الضلع العمودي في اليسار، ابتداء من الأسفل، منظر صياد يوجه رمحه نحو أسد وفريسة يتصارعان، ثم عازف على الناي وفوقه منظر صراع بين باز وغزال وفوقه عازف على العود.

على الجهة اليمنى نرى صورتين لمعركة بين باز وغزال، بينهما منظر لرجل يحتسي الشراب وآخر يحمل سلة لقطف العنب. وأخيرا، في الطرف العلوي، نرى رجلا ملتحيا يحمل بازً وأرنبا.

هذه الزخارف التصويرية التي تجمع بين الصيد والموسيقى والشراب والتي كانت تخص حياة ولهو الأمراء، نجدها بكثرة في التصوير الإسلامي سواء كان في مصر أو الأندلس أو الشرق الأدنى وحتى في زخرفة كنيسة بالاتين في باليرمو (صقلية).

إن حيوية المناظر والبحث عن الواقعية في التصوير تعد من خصوصيات الفن الفاطمي، تظهر ايضا في المشاهد المنفذة على أفاريز القصر الفاطمي في القاهرة والتي أكتشفت في مارستان قلاوون، كما تظهر باللوحة الخشبية الموجودة في اللوفر وأيضا بقطع عاجية أخرى من العهد الفاطمي.وقد كان لدقة العمل وتفاصيل الأزياء جانب كبير من الأهمية إذ انها ساهمت بمقاربتها بالقماش الذي كان يصنع في صقلية في العهد الفاطمي.

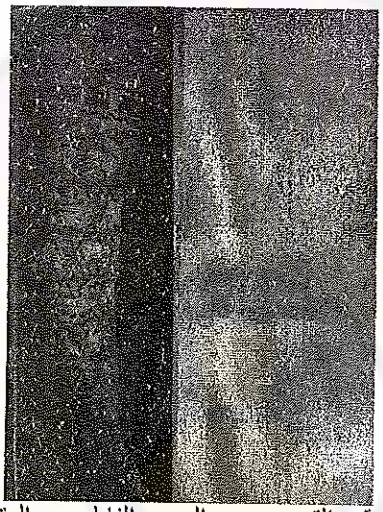
ونجد في موضوعات الطرب والصيد المنقوشة على القطع العاجية الفاطمية أمثلة كثيرة من النقوش على التحف الساسانية وما بعد الساسانية.



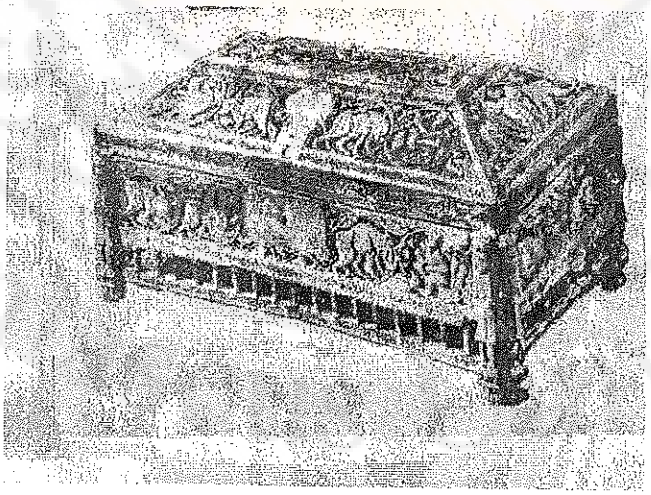
(شكل ٢٧) حشوات من العاج المنقوش بزخارف بارزة لموضوعات الصيد والطرب – العصر الفاطمي- متحف برلين الغربية.

ومن التحف العاجية التي ينسب أسلوب صناعتها إلى العصر الفاطمي مجموعة من الأبواق العاجية (شكل ٢٨)،والعلب المستطيلة المزينة بوحدات طيور وحيوانات وآدميين داخل مناطق مستديرة (شكل ٢٩).ولقد اختلف العلماء في نسبة المكان الذي صنعت فيه هذه العلب العاجية ، إلا أنه يرجح نسبة البعض إلى جنوب إيطاليا الذي كان متأثرا بفنون جنوب صقلية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

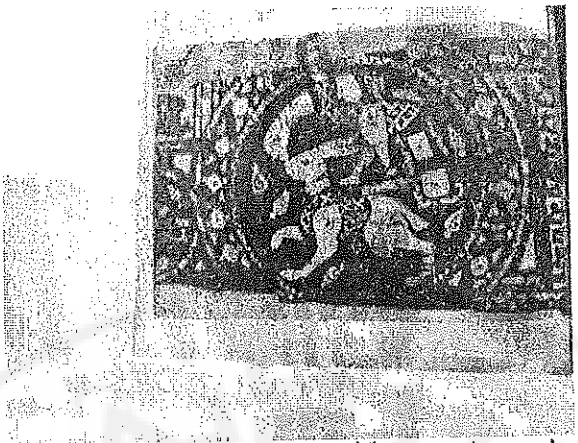
واستخدم العظم والعاج أحيانا في تطعيم أسطح الألواح الخشبية (شكل ٣٠) ويظهر فيها ميل وولع الفنان الفاطمي باستخدام الوحدات الساسانية في تطبيق زخارفه.



(شكل ٢٨) بوق من العاج من صقلية – القرن ٥ هـ - العصر الفاطمي – المتحف الأهلي بمدينة فلورنسا بإيطاليا



(شكل٢٩) علبة من العاج مزخرفة بنقوش بارزة – القرن ٦ هـ - متحف المتروبوليتان.

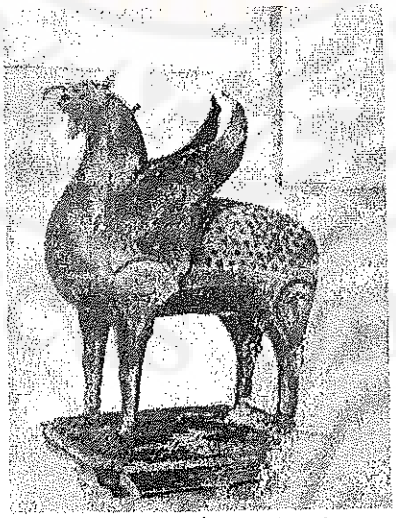


(شكل٣٠) لوح من الخشب مطعم بزخارف عاجية لوحدات حية – القرن ٥ هـ - العصر الفاطمي – المتحف الإسلامي بالقاهرة.

٢ -المعادن:

شهد العصر الفاطمي أقصى ازدهار في صناعة المعادن سواء كانت من البرونز أو النحاس أو الفضة أو الذهب ، ويؤكد ذلك ما جاء في وصف مؤرخو مصر لما كانت تحتويه قصورهم من تحف نفيسة أهمها التحف المعدنية.

ومن أفضل ما وصل من العصر الفاطمي من التحف المعدنية مجموعة من تماثيل من البرونز التي صنعها الفاطميين بغرض المباخر أو صنابير أباريق أو نافورات كانت تشكل أحيانا علىسريئة أسود من البرونز، كما أن بعضها لم تكن له وظيفة معينة بل صنع بغرض الزينة فقط ،من أشهرها حيوان من البرونز له جسد أسد مجنح ورأس طائر ويزين سطحه زخارف منقوشة تصور سباعا وصقورا، كما وجدت عليه كتابات دعائية بالخط الكوفي (شكل ٣١).



(شكل٣١) عقاب من البرونز به زخارف منقوشة – القرن ٤ أو ٥هـ - العصر الفاطمي، حاليا مدينة بيزا.

وكذلك احتوت كنوز الفاطميين على الكثير من الحلي الذهبية والمرصعة بأحجار كريمة ، وتمكن الفنان من زخرفة هذه التحف بالمينا (شكل ٣٢). وقد عثر في أطلال الفسطاط على خواتم وأقراط من الذهب ومشبك صدر من الذهب منقوش بزخارف نباتية. وقد اتبع الفنان الفاطمي في تشكيل الأقراط هيئة الأهلة مستمدة ذلك من التاج الساساني.



(شكل ٣٢) قرط من الذهب به زخارف مفرغة – القرن ٥ هـ - العصر الفاطمي- المتحف الإسلامي بالقاهرة.

٣-الخزف :

ازدهرت صناعة الخزف في العصر الفاطمي ومن أشهر أنواع الخزف الفاطمي هو الخزف ذو البريق المعدني ، ظهر هذا النوع من الخزف في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وأرجع العلماء سبب ظهوره إلى تحريم استعمال الأواني المصنوعة من الذهب والفضة.

وقد ازدهرت صناعة هذا النوع من الخزف في العصر الفاطمي ازدهاراً عظيماً ، وأضاف فنان هذا العصر إضافات رائعة لهذا النوع من الخزف سواء من حيث التنويع في الأكاسيد المستخدمة في صناعته أو تنويع الزخارف المستخدمة في تزيين هذا النوع. فقد تدهورت صناعة هذا النوع من الخزف في مصر في العصر الإخشيدي ، إلا أن الفاطميين بلغوا درجة كبيرة من القوة جعلتهم يستدعون الفنانين من العراق إلى القاهرة للنهوض بصناعة هذا النوع من الخزف في مصر.

قسم إنتاج الخزف ذو البريق المعدني في العصر الفاطمي إلى مرحلتين:

- الأولي:- تبدو فيها الصلة بين زخارفها وبين زخارف الخزف ذو البريق المعدني في العصر الطولوني.

- الثانية:- يبدو فيها تطوراً كبيراً بالإضافة إلى الاختلاف بينها وبين المجموعة الأولى في أشكال الأواني.

أما من حيث المناظر المصورة على الخزف ذو البريق المعدني في العصر الفاطمي فقد تعددت فنرى منها:

* مناظر الشراب والتي شاعت على الخزف الفاطمي ويرجع وجود هذه المناظر الي أن الفاطميين كانت لهم كثير من الاحتفالات المختلفة. وبالإضافة إلى مناظر الشراب ظهرت مناظر الموسيقيين والموسيقيات (شكل ٣٣) وهي مناظر مرتبطة بحياة الطبقة الأرستقراطية ، والى جانب هذه المناظر وجدت مناظر الرقص وقد ارتبطت هذه المناظر بما يتم داخل البلاط الفاطمي. وكل هذه الموضوعات استمدها الفنان الفاطمي من الفنان الساساني والتي صور على منتاجاته الفنية الكثير من مناظر الموسيقي والطرب والرقص والشراب وهي موضوعات متعلقة بما يتم في القصور الساسانية.



(شكل ٣٣) زخارف تمثل مناظر الطرب – العصر الفاطمي

** مناظر الصيد : وهي أيضاً موضوعات متعلقة بالبلاط الفاطمي ، فقد كانت هواية الصيد من أكثر الأمور المحببة إلى نفوس الخلفاء والحكام فقد عُرف الخليفة الفاطمي العزيز بالله بالخليفة الصياد. وقد وجدت حارة في العصر الفاطمي تعرف بحارة البيازرة أي حاملي الباز.

***الى جانب موضوعات الطبقة الأرستقراطية ظهرت موضوعات تخص حياة عامة الشعب من مناظر الحمالين وأصحاب الحرف ، والألعاب الشعبية ومنها لعبة التحطيب وترويض الحيوانات وقتال الديكة (شكل ٣٤).



(شكل ٣٤) طبق من الخزف مزخرف بالبريق المعدني بموضوع رياضة التحطيب القرن ٥ هـ العصر الفاطمي -- المتحف الإسلامي بالقاهرة.

****وظهر أيضاً على الخزف الفاطمي مناظر دينية مسيحية مما دفع الكثير من المستشرقين إلى القول بأن صناعها أقباط ، ولكن يمكن القول أن المناظر الفنية تتوقف على ذوق راعي الفن.

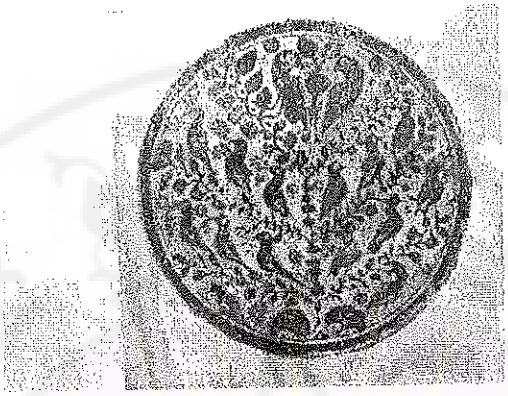
*****بالإضافة إلى ذلك ظهرت مناظر الحيوانات ، منها مناظر الانقضاض ، مناظر تتابع الحيوانات ، مناظر تقابلها أو تدابرها ، الحيوانات التي تحمل في فمها فرع نباتي ، ومن هذه الحيوانات: الأرانب والغزلان والأسود والأفيال والأسماك (شكل ٣٥).





(شكل ٣٥) آنية وطبق بزخارف حيوانية -- العصر الفاطمي

******ويلاحظ في زخارف بعض الأواني الخزفية أن الفنان احتفظ ببعض الأساليب الزخرفية التي كانت سائدة في العصر القبطي، ويظهر ذلك في طبق ينسب إلى مصر أو اسبانيا مصور عليه شجرة تقف فوقها العصافير (شكل ٣٦).



(شكل ٣٦) طبق من الخزف مزخرف بالبريق المعدني وتظهر به طيور على شجرة – القرن ٥ هـ أو ٦ – متحف اللوفر بباريس.

اختفي الخزف ذو البريق المعدني في نهاية العصر الفاطمي ويرجع ذلك إلى تدهور الحالة الاقتصادية في نهاية هذا العصر مما أدى إلى قلة هذا النوع من الخزف المرتفع الثمن وظهور أنواع أخري أقل منه ثمناً وقيمة.

وقد انتشرت في نهاية العصر الفاطمي أنواع متعددة من الخزف منها: الخزف ذي الزخارف المحفورة أو المحزوزة:

*زخارف هذا النوع يعلوها طلاء زجاجي شفاف أو طلاء ذو لون واحد. وجدت أعداد كبيرة منه في مدينة الفسطاط مما يدل علي أنها كانت مركز صناعته. ألوان هذا النوع من الخزف هي : الأزرق ، البنفسجي ، الأخضر الفاتح ، الأبيض المائل للصفرة.

**إلى جانب النوع السابق من الخزف ظهر نوع أخر اقتصر الدهان فيه علي أجزاء منه دون أجزاء أخرى ، كانت زخارفه تنقش علي طبقة البطانة ثم تترك لتجف ثم تطلي بطلاء شفاف ثم توضع في الفرن لتثبيت الطلاء.

***ظهر أيضا في العصر الفاطمي نوع من الخزف البسيط أو الريفي قوام زخرفته خطوط ونقاط ورسوم بسيطة بالألوان البيضاء والصفراء والخضراء ويّعرف هذا النوع باسم خزف الفيوم وهو تقليداً للخزف الصيني

وكذلك قسمت الأواني الفاطمية حسب زخارفها إلى مجموعتين ، الأولى رسمت زخارفها بخطوط خارجية واضحة وكانت الرسوم الآدمية ورسوم الحيوان هي العنصر الأساسي في الزخارف ، في حين كانت الفروع النباتية والأوراق عنصرا ثانويا يظهر كخلفية للموضوع الرئيسي، فضل الفنان في تطبيق رسم وحدة آدمية أو حيوان أو طائر بحجم كبير يأخذ الصدارة في سطح الإناء، ويحيط بهذه الوحدة أو يتفرع منها زخارف نباتية وخطوط متداخلة ومتشابكة تغطي الأرضية ، من أحسن النماذج التي تعود إلى هذه المجموعة طبق عثر عليه بالفسطاط مرسوم عليه بالبريق المعدني الأصفر الذهبي صورة حصان مجنح (شكل ٣٧).



(شكل ٣٧) طبق من الخزف مزخرف بالبريق المعدني الأصفر بوحدة حصان مجنح – القرن ٥ هـ - العصر الفاطمي – المتحف الإسلامي بالقاهرة.

أما زخارف المجموعة الثانية فتظهر بها موضوعات حافلة بشخصيات كثيرة، ويلاحظ أن الأشخاص مرسومين بشكل كروكي مع عدم وجود الخط الخارجي الواضح الذي يحدد الأشخاص، ولا توجد في الخلفية رسوم كثيرة، ويلاحظ في زخارف هذه المجموعة ابتعادها عن التقاليد العراقية واهتمامها بصور من الحياة المصرية (شكل ٣٤).

٤-الزجاج:

عرفت مصر صناعة الأواني الزجاجية من عصور ما قبل الإسلام ، وكانت الفسطاط من أعظم مراكز صناعة الزجاج في العصر الإسلامي ، كذلك اشتهرت بها مراكز أخرى مثل الفيوم والأشمونين والإسكندرية. ووصلتهذه الصناعة إلى أوج قمتها في أوائل العصر الفاطمي.

- وقد اشتهر العصر الفاطمي بوجود ثلاثة أنواع من الزجاج:

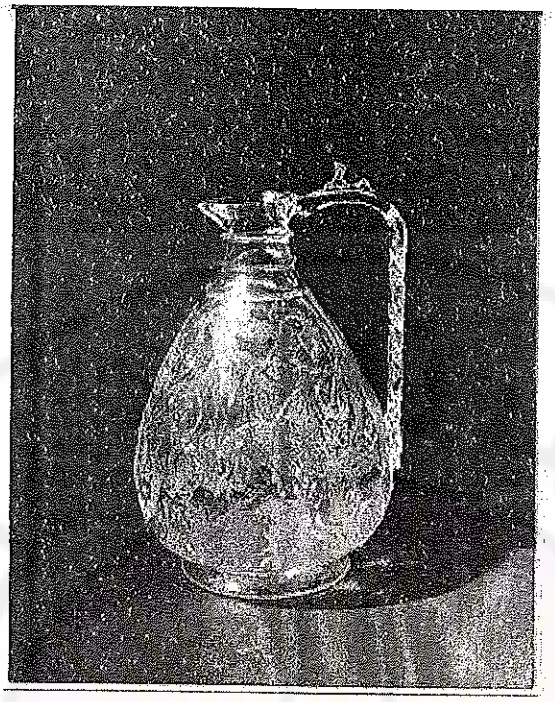
١- الزجاج ذي البريق المعدني:كان هذا الأسلوب معروفا في زخرفة الزجاج منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، إلا أنه أنتشر وأحرز تقدما واضحا في عصر الفاطميين (شكل ٣٨)، حيث استخدم الفنانون أصنافا متنوعة من الألوان الذهبي والفضي والنحاسي ، ومن هذه القطع أوان تحمل إمضاء الخزاف المشهور سعد.



(شكل ٣٨) إناء من الزجاج مزخرف برسوم من البريق المعدني والمينا، القرن ٥ هـ - العصر الفاطمي – المتحف البريطاني.

٢-البلور الصخري: اشتهر العصر الفاطمي بصناعة أوان زجاجية صنعت من البلور الصخري وذلك لوجود خام البلور الصخري في مصر.، وكانتهذه الصناعة شائعة منذ فترة حكم الأخشيديين . وعلى ما يبدو أنهذه الأواني كانت مفضلة عند بعض الخلفاء الفاطميين حيث عثر على عدد منها يحمل أسمائهم مما سهل معرفة تاريخ صناعتها. صممتهذه الأواني على شكل كؤوس وأباريق ، وعلب وصحون، وفنجانين وأطباق، وقطع شطرنج وأختام وزجاجات متنوعة الأشكال، وتميزت بتزينها بزخارف مقطوعة قوامها حيوانات أو طيور أو فروع نباتية مرسومة بدقة وانسجام فضلاً عن كتابات وصلوات دعائية.ومن ذلك إبريق باسم الخليفة الفاطمي العزيز مزخرف برسم أسدين بينهما شجرة الحياة كما يوجد على المقبض نحت لخروف صغير.

ولقد شاع استخدام العناصر الساسانية في الزخارف الفاطمية حتى أواخر عهد الدولة ويظهر ذلك في إبريق موجود حاليا بمتحف فيكتوريا وألبرت مزخرف برسم صقر ينقض على غزال (شكل ٣٩) ، ولقد استخدمتهذه الأواني في الكنائس لأغراض دينية، وذلك بعد أن أضيفت إليها تلبيسات معدنية.



(شكل ٣٩) إناء من البلور الصخري به زخرفة منقوشة لصقر ينقض على غزال – القرن ٥ هـ - متحف فيكتوريا والبرت بلندن- العصر الفاطمي

وكانت معظم الكؤوس والأواني الزجاجية التي يستعملها الخلفاء كانت من البلور لاعتقاد الناس أن الشرب في أواني البلور له فوائد عديدة.

٣-الزجاج المقطوع: وهو نوع من الزجاج السميك وتقليد للبلور الصخري، إلا أنه أقل تكلفة. ومن المنتجات التي وصلتنا منه: مجموعة من الكؤوس الزجاجية أطلق عليها كؤوس القديسة هدويج (شكل ٤٠) ، وعددها ثلاثة عشر كأساً موزعة بين المتاحف الأوربية والمجموعات الخاصة. وتتميز هذه الكؤوس بهيئتها الفريدة التي تشبه شكل الدلو أو السطل وتظهر قاعدتها بارزة إلى الخارج في حين غطي سطحها بزخارف مقطوعة تمتد على مساحتها وتتألف هذه الزخارف من أسود وطيور ناشرة أجنحتها وأشجار ومراوح نخيلية.

ولقد استخدمت بعض هذه الأواني ذات الزجاج السميك في الكنائس لأغراض دينية، ولقد استخدم الأوربيون هذه الأواني في الأغراض الدينية بالرغم من وجود كتابات عربية بالخط الكوفي عليها. مثال ذلك إناء مزخرف بتفريعات نباتية تحمل اسم السلطان الظاهر لإعزاز الدين (٤١٣-٤٢٨ هـ) وهو موجود حاليا في كنيسة قوطية.



(شكل ٤٠) إناء من الزجاج السميك من مجموعة القديسة هدفيج – قرن ٦ هـ - متحف أمستردام هولندا.

طرق صناعة وزخرفة الزجاج:

- كان يتم تشكيل الأواني الزجاجية بطريقتين:

١-التشكيل بالنفخ في الهواء: تتم بعد انصهار مكونات الزجاج فتصبح عجينة لينة ، فيلتقط الصانع بنهاية أنبوب معدني قطعة عجينة وينفخ فيها من بداية الأنبوب فيندفع الهواء المضغوط إلى وسط العجينة فتنتفخ جوانبها ، وتعتمد هذه الطريقة علي مهارة الصانع في النفخ.ويتميز هذا النوع من الزجاج بأنه خال من الزخارف.

٢-التشكيل بالنفخ في القالب: بعد انصهار مادة السليكا حتي تصبح عجينة لينة ، يلتقط الصانع قطعة من هذه وهي ساخنة بنهاية أنبوب معدني ، وينفخ فيه فتأخذ العجينة شكلاً كروياً فيضعها داخل قالب من الفخار أو المعدن أو الخشب يكون مضلعاً أو علي هيئة خلايا النحل ، فيأخذ بدن القنينة الخارجي نفس شكل التضليع أو خلايا النحل. ثم تضع الأواني في فرن ذو مسقط دائري مسقوف من الطوب به فتحة لتزويد الوقود ، يوجد بجانبه مكان مسقوف يُعرف بجيب التبريد وبه درجة الحرارة مناسبة وأقل من درجة حرارة الفرن الرئيسي.

وقوام الزخرفة في التحف الزجاجية ذات الرسوم المنفوخة في القالب الدوائر ذات المركز الواحد والكتابات والرسوم الهندسية وزخارف أخرى تشبه خلية النحل. ومن أشهر أنواع الزجاج ذي الزخارف نوع ذو خيوط مضافة بارزة أو مضغوطة في سطح الإناء ذات ألوان متعددة. ولقد صنعت هذه الزخارف

بواسطة عجينة زجاجية ملونة تضاف على السطح وقد تظهر على شكل نقط ، ويعتبر هذا تقليد لزخارف الفسيفساء الزجاجية التي عرفت في البندقية باسم الألف زهرة.

- وبشكل عام فإن زخرفة الأواني الزجاجية تتم بعدة طرق:

١- الزخرفة بالإضافة (الباربوتين): تتم بإضافة خطوط رفيعة أو سميكة علي بدن الآنية.

٢- الزخرفة بالختم: تتم بإضافة أقراص زجاجية مستديرة علي بدن الآنية وهي ساخنة ويضغط عليها بخاتم معدني عليه زخارف بارزة أو غائرة.

٣- الزخرفة بالقطع: تتم هذه الطريقة بعد تشكيل الآنية ثم تترك لتبرد وتنقش الزخارف علي سطحها بالقطع ، وتتطلب هذه الطريقة أن تكون الآنية الزجاجية ذات جدار سميك.

٤- الزخرفة بالملقاط أو المنقاش: بعد تشكيل الآنية ، يُنقش علي بدنها وهي ساخنة بألة تشبه الملقاط ، وذلك عن طريق سحب أجزاء الي الخارج من العجينة الزجاجية.

٥- الزخرفة بالبريق المعدني: استخدمت هذه الطريقة منذ منتصف ق ٢هـ. ويعتقد زكي حسن أن استخدام البريق المعدني في زخرفة الزجاج قد نشأ في العراق في ق ٣هـ ، ولكن يعتقد محمود إبراهيم أن اكتشاف مادة البريق المعدني ربما كان في مصر في عصور سابقة علي الإسلام ودخول العرب إليها.

٥-النسيج :

تعتبر مصر من الدول ذات الشهرة التقليدية في صناعة النسيج ، ونافست دولاً كثيرة في صناعته منذ أقدم العصور مثل الدولة البيزنطية والساسانية. قد احتكرت مصر هذه الصناعة مما عُرفت باسم دور الطراز ، وكلمة الطراز كلمة فارسية الأصل مأخوذة من كلمة (طرازيدن) وتعني التطريز ، اتسع مدلولها وأصبح لها مدلولات أخري منها الزي أو شريط الكتابة أو المصنع الذي تصنع فيه هذه المنسوجات.

كان في مصر نوعين من الطراز هما:

١-**طراز الخاصة**: يفسرها زكي حسن بأنه مصنع النسيج الحكومي الذي يمد الخليفة وكبار رجال الدولة وأفراد حاشيته بالأقمشة. أما محمود ابراهيم يعتقد أن طراز الخاصة هو ما كان يُصنع وفق معايير خاصة ومواصفات تحددها الجهة الطالبة له سواء كانت خارجية أو مؤسسة من مؤسسات الدولة.

٢-**طراز العامة:** يفسرها زكي حسن بأنه مصنع النسيج الحكومي الذي يمد الشعب بما يحتاج إليه من أقمشة. محمود إبراهيم يعتقد أن طراز العامة هو ما كان يُنتج بصفة عامة من قبل مصانع النسيج دون أن يميز بمميزات خاصة.

كان يتولي الأشراف على الطراز شخص من أرباب العمائم والسيوف وكانت علاقته بالخليفة علاقة مباشرة ، وكان له نحو مائة رجل يساعدونه ، وله حرس يتقاضي مرتبه من مال الديوان.

وإ لـ جانب طرازين الخاصة والعامة ، كان يوجد مصانع النسيج الأهلية التي تنتج المنسوجات بجانب المصانع الحكومية ، وكانت تخصص للأنواع الرخيصة من المنسوجات.

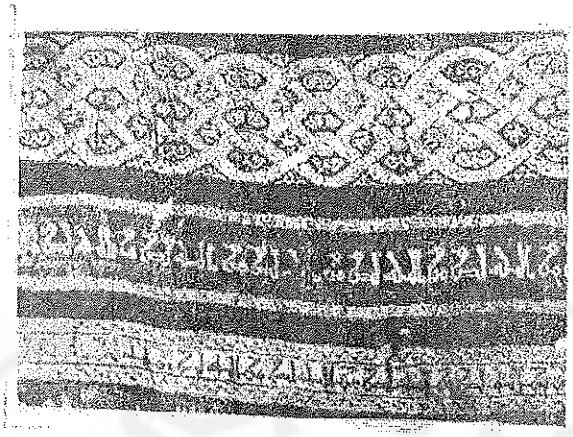
أما في العصر الفاطمي فقد ازداد نشاط مصانع النسيج التي كانت تنتج الأقمشة الفاخرة وذلك لاهتمام الخلفاء بمظاهر الفخامة في ملابسهم وبالخلع التي كانوا يخلعونها عل لـ كبار رجال الدولة في المناسبات المختلفة. ولقد أنتجت المصانع الخاصة الموجودة بالوجه البحري أفخر المنسوجات الكتابية والحريرية المزخرفة بخيوط من الذهب واشتهرت بالدقة والجودة. وكانت المنسوجات الصوفية تصنع في الصعيد وتصدر إ لـ بلاد فارس ، كما أصبحت مصر تنتج كسوة الكعبة كل سنة ، وأنتجت الأقمشة في العصر الفاطمي تفوق ما أنتجته مصانع النسيج في العصر العباسي. وكان النسيج يزين عادة بشريط مزخرف بأشكال هندسية متكررة سداسية أو معينة أو بيضاوية، ويوجد في كل رسم طائر أو حيوان في أوضاع متقابلة أو متدابرة، ويحد هذه الأشرطة من أعل لـ وأسفل أشرطة من الكتابة العربية، وكانت الأشرطة في أول الأمر قليلة وضيقة ولكنها تطورت فاتسعت كما ازداد عددها.

وقد قسم العلماء النسيج الفاطمي إ لـ أربع مراحل من حيث زخارفها وهي:

- المرحلة الأولي: تؤرخ بالقرن ٤هـ / ١٠م : قوام زخرفتها شريطين متعاكسين من الكتابات الكوفية البسيطة وكانت هذه الأشرطة ضيقة ثم أخذت في الأتساع.

- المرحلة الثانية: تؤرخ بالقرن ٥هـ / ١١م : قوام زخرفتها وضع شريط من الزخرفة بين شريطين من الكتابة ، يتضمن الشريط الأوسط عناصر مختلفة من الزخرفة منها رسوم الطيور والحيوانات والأشكال الآدمية.

- المرحلة الثالثة: تؤرخ بنهاية القرن ٥هـ /١١م : بدأت الأشرطة تكثر في عرض المنسوج(شكل ٤١) وأصبحت متداخلة ، حدث تغيير في شكل الكتابة فتطورت الكتابة الكوفية إ لـ نوع ينتهي بأوراق الشجر يعرف باسم الكوفي المشجر وأصبحت تميل الي الليونة.

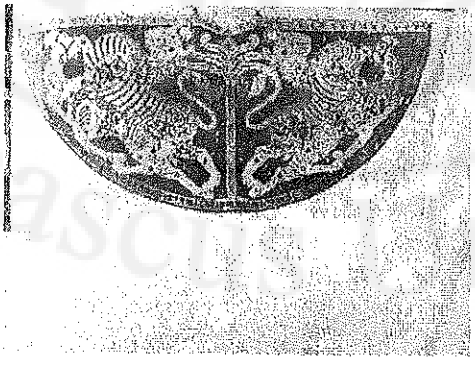


(شكل ٤١) قطعة نسيج من الكتان المزخرف بأشرطة حريرية بها كتابة كوفية – العصر الفاطمي – المتحف الإسلامي بالقاهرة.

- المرحلة الرابعة: تؤرخ بالقرن ٦هـ /١٢م : اختفت فيها الفواصل بين الأشرطة وأصبح المنسوج كله مزخرفاً ، بالإضافة إلى اختفاء الخط الكوفي وظهور الخط النسخي ، كما ظهر في زخارفها الفروع النباتية والأرابيسك والحروف المستديرة غير المقروءة.

وقد ظهر في نهاية العصر الفاطمي نوع من النسيج المطبوع وهو طباعة الزخرفة علي النسيج وذلك نتيجة للتدهور الاقتصادي.

ويذكر أن أسلوب صناعة المنسوجات الفاطمية انتشر في صقلية في فترة الحكم الإسلامي ، واستمر هذا الطابع الفاطمي بعد ذلك ، ومن الأمثلة على ذلك عباءة تتويج صنعت للملك روجرز، حيث يظهر في زخارفها الأسلوب الفاطمي المتأثر بعناصر الفن الفارسي حيث نرى وحدة أسد تنقض على جمل متكررة ، تتوسطهما نخلة مطرزة بخيوط الذهب ومرصعة باللآلئ (شكل ٤٢).



(شكل ٤٢) عباءة للملك روجرز ملك صقلية – القرن ٦ هـ - العصر الفاطمي – متحف الفنون – فيينا النمسا.

أما بالنسبة للمواد الخام المستخدمة في صناعة النسيج فكان **الكتان** يقع **في المرتبة** الأولى ويليه الصوف ثم الحرير. وأشهر مراكز صناعته كانت في الإسكندرية ، شطا ، دمياط ، الفرما ، البهنسا ، الدميرة.

طراز العصر السلجوقي

٥-٧ هـ/ ١١-١٣ م

السلاجقة هي سلالة تركية حكمت في أفغانستان وإيران وأجزاء من الأناضول وسورية والعراق، وتنسب إلى سلجوق زعيم عشائر الغز التركمانية التي هاجرت واستقرت في بخاري.



دولة السلاجقة في القرن الخامس عشر الهجري

- السلاجقة في إيران (٤٤٧-٥٥٣/١٠٥٥-١١٥٧):

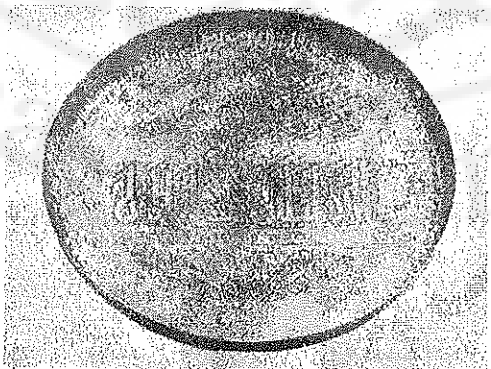
تمكنت إحدى القبائل التركمانية من الاستيلاء على أصفهان وهمذان والقوقاز ، وبعد أن قويت شوكتهم تمكنوا منسزيمة الغزنويين الذين كان مركز حكمهم في أفغانستان. وفي عام ٤٢٩ /١٠٣٧ استطاع **طغرل بك** أحد أحفاد سلجوق الاستيلاء على إقليم خراسان ، ولما ضعف **البويهين** (حكام إيران وبعض أجزاء من العراق) واشتد ظلمهم ، استنجد الخليفة العباسي القائم بالسلطان طغرل بك فسار الأخير بجيوشه إلى بغداد ودخلها ٤٤٧/ ١٠٥٥ ، فنصبه الخليفة سلطانا وأمر أن تذكر الخطبة باسمه. وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي كان السلاجقة يحكمون مع ولاتهم الأتابكة إمبراطورية واسعة شملت بلاد العالم الإسلامي كله ما عد مصر. حيث تمكنوا من السيطرة على الأناضول حتى الجهات الغربية بعد اصطدامهم بالدولة البيزنطية عام ٤٦٤/ ١٠٧١ في عهد ألب ارسلان بن طغرل بك. ثم استردوا من الروم أنطاكية ومنبج ، وتأسست أمارات سلجوقية

في الأناضول وأرمينيا منها تلك التي أسسها سليمان بن قطلمش بن أرسلان بن سلجوق والتي كان مقرها في قونية وأطلق عليها سلاجقة الروم. شملت دولتهم إيران وأفغانستان وأسيا الصغرى والعراق والشام. ولكن هذه الدولة الكبيرة ما لبثت أن تمزقت بعد موت السلطان السلجوقي سنجر الثاني (٥٢٦- ٥٥٢/ ١١١٨-١١٥٧) أخر حكام السلاجقة في إيران ، حيث انقسمت بعد ذلك إلى دويلات صغيرة حكمها بعض أفراد أسرة السلاجقة، كما استقل كبار قوادهم الأتابكة بالبلاد التي كانوا ولاة عليها، وانتهـ الأمر بالغزو المغولي لإيران في القرن السابع الهجري / بداية الثالث عشر الميلادي.

بلغت النهضة الفنية في إيران قمة ازدهارها في عهد السلاجقة لاسيما في عهد (ملك شاه) ووزيره (نظام الملك)، ولم يكن للعنصر التركي الذي ينتمون إليه أي تأثير فني فيما وجد من عمائر وتحف فنية في ذلك العصر وسبب ذلك استخدام السلاجقة لرجال الفن المحليين في إيران والعراق وآسيا الصغرى.

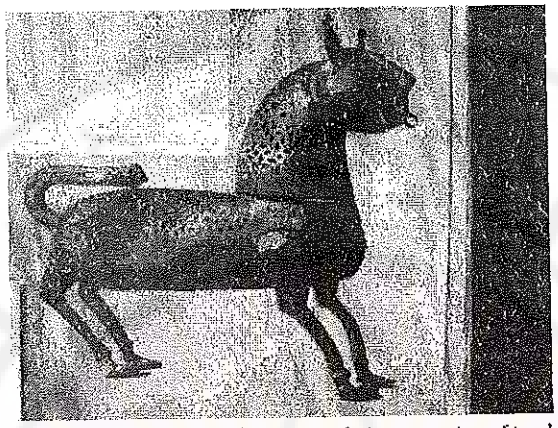
١ - المعادن:

ازدهرت صناعة المعادن في إيران في العهد السلجوقي، وكان من أهم مراكزها إقليم خراسان وهراه، وكان الأسلوب السائد في زخرفة التحف المعدنية في أول الأمر هو النقش علـ سطحها. ولكن ما لبث أن ظهر أسلوب جديد علـ يد الصناع في إيران والعراق يعرف بالتكفيت أو التطبيق ، وينحصر هذا الأسلوب **في مل الزخرفة المحفورة على سطح الإناء بشرائط من الفضة أو النحاس الأحمر أو بكليهما**. ولم يظهر إنتاج لهذا الأسلوب الزخرفي قبل منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. أما مراكز التكفيت فقد نشأت أولا في خراسان بشرق إيران ثم انتقلت منها إلـ باقي إيران والموصل بشمالي العراق. ومن القطع المعدنية التي تمثل الإنتاج الأول للعصر السلجوقي، طبق من الفضة مزخرف بوحدات منقوشة علـ السطح ذات عناصر كتابية وحيوانية مجنحة ونباتية (شكل ٤٣) ، ويبدو في هذه الزخارف تأثر الفنان الزخرفية التي ظهرت في إنتاج العصر ما بعد الساساني، وتدل النقوش الكتابية علـ أن الإناء صنع للسلطان السلجوقي ألب أرسلان ١٠٦٦/٥٠١.



(شكل٤٣) طبق من الفضة عليه زخارف منقوشة، صنع ١٠٦٦/٤٠٩،للسلطان السلجوقي ألب أرسلان- متحف بوسطن بأمريكا

ولقد جمع الفنان السلجوقي أحيانا بين طريقة الزخارف المنقوشة على السطح وبين الزخارف المفرغة في تحفة واحدة مما كان له تأثير زخرفي جميل، يعكس ذلك الأسلوب مبخرة على هيئة أسد (شكل ٤٤) مزخرفة بنقوش لوحدات نباتية،شبيهة بالأواني المعدنية التي صنعها الفاطميون على شكل الحيوان أو الطير.



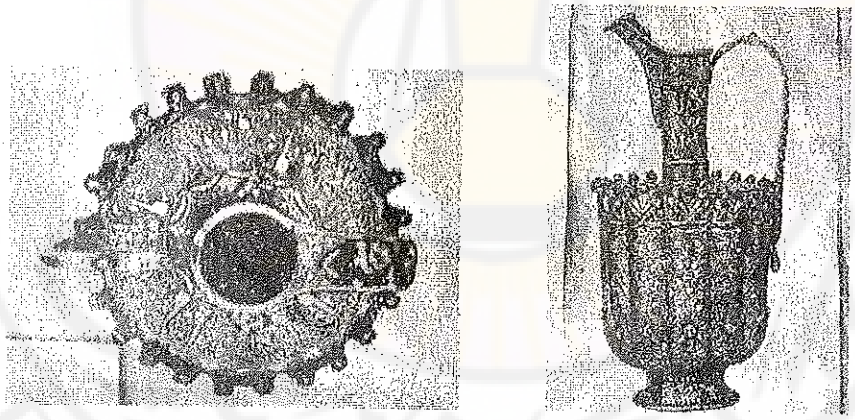
(شكل٤٤) مبخرة من البرونز على هيئة حيوان من صناعة خراسان- القرن ٦ هـ - العصر السلجوقي، إيران- متحف اللوفر بباريس.

ولقد عثر على مجموعات من الأواني المعدنية المزخرفة بطريقة التكفيت في عدة مراكز منتشرة في أواسط آسيا وفي القوقاز، وتشمل هذه القطع على سلاطين ودوارق وزهريات وقدور وأهوان. وتزخرف هذه القطع أشرطة بها رسوم حيوانات وأشخاص، ووفي بعض الأحيان زينت الأشرطة جامات بها منظر صيد أو طرب أو فروسية، أو كتابات بالأحرف العربية. ويتضح من بعض هذه الزخارف أن الفنان ما زال متأثرا بوحدات عصر ما بعد الساساني. من أقدم القطع التي تمثلها قدر من البرونز(شكل ٤٥) مزخرف بنقوش محفورة ومكفتة بالنحاس الأحمر والفضة وتدل الكتابة الموجودة عليه أنه صنع بمدينة هراة بيد (محمد بن الواحد)، وكفته (مسعود بن أحمد) عام ١١٦٣/٥٥٩، وتظهر الزخارف المكفتة في خمسة أشرطة أفقية، اثنان منها مزخرفان برسوم آدمية لفرسان وصيادين وأشخاص في مجالس طرب بها راقصات وموسيقيون وبهلوانات، أما الأشرطة الثلاثة الباقية فقوام زخارفها كتابات نسخية وكوفية ، وتنتهي بعض قوائم الحروف بأشكال رؤوس آدمية أو حيوانية وهذا ابتكار ينسب إلى السلاجقة. وقد ظهر هذا الأسلوب الزخرفي على أواني الموصل أيضا. وينسب ابتكار هذا النوع من الكتابة إلى خراسان في القرن السادس الهجري. ومنها انتشر إلى إيران. وقد ساعد هذا القدر المؤرخ على التعرف على تاريخ صناعة بعض الأواني التي تتشابه في أسلوبها الزخرفي مع أسلوب إناء هراة.



(شكل ٤٥) قدر من البرونز المكفت بالفضة والذهب من صناعة هراء -٥٥٩ هـ العصر السلجوقي- إيران- متحف الإرميتاج في روسيا.

ومن صناعة خراسان أيضا بعض الأواني المتعددة الأضلاع المزخرفة برسوم مكفتة ومحفورة ومجسمة لطيور أو حيوانات، ويمثل هذا الأسلوب إبريق من البرونز ذو رقبة طويلة (شكل ٤٦)، ويتكون بدنه من اثني عشر ضلعا مزين سطحها بزخارف متشابكة تنتهي من أعلى برؤوس حيوانات مختلفة. وتضم هذه الزخارف جامات بها رسوم فلكية. كما تظهر في رسوم رقبته الأسلوب الذي أدخله السلاجقة على الزخارف الكتابية وهو انتهاء حروف الكتابة النسخية بأشكال رؤوس آدمية (شكل١-٤٦). ويلاحظ أن التكفيت بالفضة قد ازداد في القرن الثاني عشر الميلادي.



(شكل ٤٦، ١-٤٦) إبريق من البرونز المكفت بالفضة – صناعة خراسان – أوائل القرن السابع الهجري-متحف المتروبوليتان.

٢ـ الخزف:

ازدهرت صناعة الخزف في العالم الإسلامي منذ عهوده الأولى، وكانت المراكز الهامة في العصر العباسي الأول هي بغداد وسمرقند بخراسان. وكذلك اشتهرت الفسطاط بصناعة الخزف الجيد في عصر الفاطميين. إلا أن هذه الصناعة وصلت إلى مرتبة خاصة في إيران في العصر السلجوقي، حيث توصل الخزافون في القرنين السادس والسابع الهجري إلى الوصول بإنتاجهم إلى مرحلة متقدمة من الإتقان، سواء أكان في أساليب الصناعة كالبريق المعدني ذي اللون الواحد أو المتعدد الألوان، أم في طريقة زخرفة الأواني

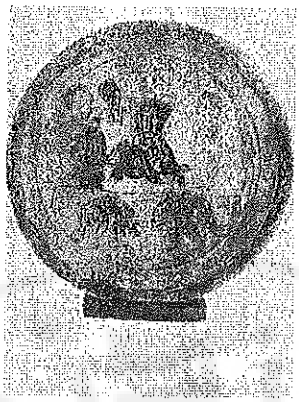
بوحدات محفورة أو بارزة ومجسمة، كما توصلوا إلى أسلوب الزخرفة المفرغة. وتميزت الأشكال الزخرفية المرسومة بمجموعات منسجمة من الألوان استخدمت في تنسيق جميل.أما مراكز تصنيع الخزف في إيران فكانت متعددة أشهرها في مدينتا الري وقاشان.

حاول الخزافون في أوائل العصر السلجوقي تقليد الخزف الصيني الأبيض وذلك بإضافة مادة الكوارتز إلى المادة المصنوعة منها الخزف، وأحسن ما عثر عليه كان بمدينة الري. وتتكون هذه المجموعة من سلاطين وكؤوس وصحون وأباريق سمنية اللون تتميز بشفافية خاصة تشبه الخزف الصيني. وتزين هذه المجموعة زخارف تتكون من فروع نباتية أو أوراق شجر محورة عن الطبيعة محفورة أو بارزة بروزا خفيفا تحت الصان. ومن هذا النوع إبريق مزين بزخارف من التفريعات النباتية المحفورة (شكل ٤٧).



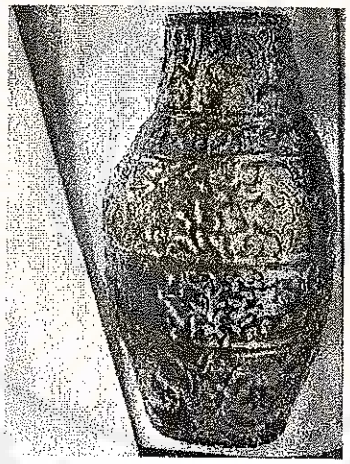
(شكل٤٧) إبريق من الخزف المغطى بطلاء أبيض مع لمسات باللون الأزرق- الري- القرن ٤ أو ٥هـ- العصر السلجوقي إيران- متحف اللوفر بفرنسا.

ومن أجمل أنواع الخزف ذي الزخارف المحفورة، مجموعة من الأطباق ترجع إلى القرن الخامس الهجري، ولكنها تتميز عن المجموعة الأولى بتعدد ألوانها وسيادة العنصر التصويري فيها.وكانت الألوان المستخدمة هي الأزرق الزهري والفيروزي والأخضر والأصفر والأرجواني الفاتح. ويعرف هذا الخزف باسم لقبي ومعناها الملون، وكان استخدامه مقصورا على الطبقة الحاكمة، وينسب في صناعته إلى مدينة الري، وربما كان مقصورا على هذا المركز. وتتكون الزخارف غالبا من حيوانات طبيعية وخرافية أو طيور ،كما تظهر بها أحيانا موضوعات آدمية (شكل ٤٨). أما الألوان على هذا الطبق فكانت الأزرق والأخضر والأرجواني على الأرضية الفاتحة.



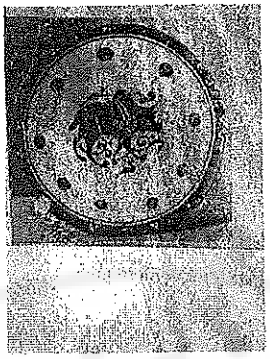
(شكل ٤٨) طبق زخرفي محفور وملون (لقبي)، قرن ٦ هـ/ العصر السلجوقي، إيران- متحف فيكتوريا الأهلي ، أستراليا.

تقدمت صناعة الأواني المزخرفة بالطرق السابقة خلال القرن السابع الهجري، وتميزت زخارفها بإتقان أكثر، وكانت الزخارف غالبا مجسمة وليست محفورة، ومن ضمن إنتاج هذه الفترة مجموعة من الأباريق والأواني التي تشبه الأزيار مغطاة بطلاء أزرق فيروزي زهري ومزينة بوحدات زخرفية بارزة منسقة في إطارات أفقية. من أمثلتها إناء (شكل ٤٩) ترجع صناعته إلى بداية القرن السابع الهجري، وتتكون زخارفه من عناصر حية مرسومة عل ل أرضية نباتية، كما غط ل سطح الإناء بطبقة ذهبية.



(شكل ٤٩) زهرية من الخزف مزينة بزخارف بارزة، بداية القرن ٧ هـ/ العصر السلجوقي، إيران- متحف فرير بواشنطن، أمريكا.

ومن الأساليب التي أتقنها الخزافون السلاجقة في أواخر القرن السادس الهجري، زخرفة الأواني برسوم تحت الطلاء. وينسب إل ل ذلك النوع مجموعة من الخزف رسمت زخارفها باللون الأسود تحت طلاء شفاف لا لون له أو مائل للزرقة، يمثلها طبق ينسب إل ل الري به زخارف باللون الأسود تتألف من وحدة حيوانية (شكل ٥٠).

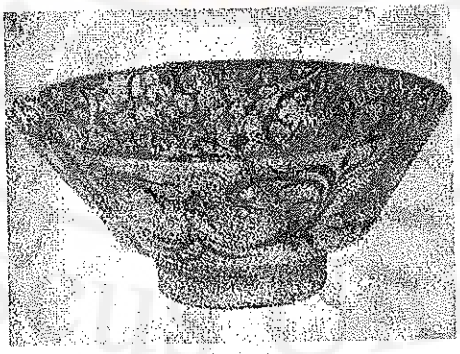


(شكل ٥٠) سلطانية من الخزف من مدينة الري مزخرفة باللون الأسود، القرن ٦ هـ/ العصر السلجوقي ، إيران متحف فيكتوريا والبرت بلندن.

ومن أنواع الخزف المرسومة زخارفه تحت الطلاء مجموعة رسمت زخارفها على طبقة سوداء مغطاة بطلاء أزرق، وتتألف هذه الزخارف من حيوانات برؤوس أدمية أو طبيعية (شكل ٥١) أو طيور أو عقبان أو نباتية على سطح الإناء الخارجي (شكل ٥٢).

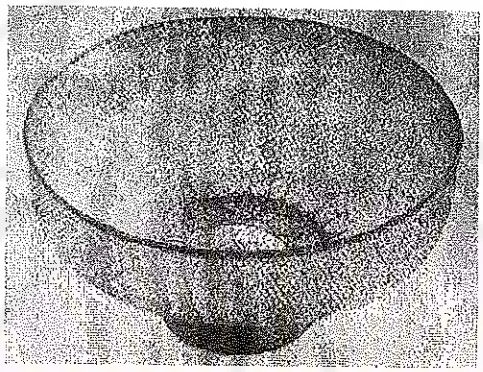


(شكل٥١) سلطانية من الخزف من قاشان مزخرفة بطريقة الظلال، القرن ٦ هـ/ العصر السلجوقي ، إيران، متحف الأشموليان- أكسفورد.



(شكل٥٢) أنية من الخزف من قاشان مزخرفة بطريقة الظلال، القرن ٦ هـ/ العصر السلجوقي ، إيران، متحف الأشموليان- أكسفورد.

وقد جمع الخزافون في بعض الحالات بين أسلوب الزخارف المرسومة تحت الطلاء وبين أسلوب الزخارف المثقوبة في إناء واحد. كما في شكل السلطانية التي عثر عليها في قاشان يزين قاعدتها من الداخل زخارف رسمت باللون الأسود تحت الطلاء الشفاف (شكل ٥٣) في حين يدور حول حافتها شريط به رسوم نباتية مفرغة ومغطاة بدهان شفاف يسد هذه الفراغات، وتبدو هذه الفراغات كطبقة زجاجية شفافة ينفذ منها الضوء.



(شكل ٥٣) سلطانية من الخزف من صنع قاشان، مزينة بزخارف سوداء وزخارف مخرمة، القرن ٦ هـ/ العصر السلجوقي ، إيران، متحف الميتروبوليتان.

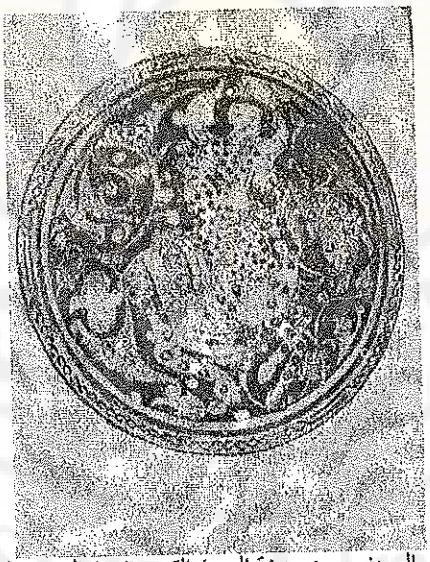
وقد استطاع الفنان الجمع بين مختلف الأساليب الفنية في عمل فني واحد، من مفرغة أو منقوشة تحت البريق أو المجسمة البارزة. من الأمثلة عليها إبريق أزرق اللون ينسب إلى قاشان به زخارف بارزة ومفرغة لوحدات حيوانية وطيور خرافية فوق أرضية من الزخارف النباتية، ويظهر من شريط الكتابة الموجودة على الإناء أنه صنع عام ٦١٢هـ. ولقد انتشر هذا الأسلوب في المراكز الإيرانية. منها إناء عثر عليه في إقليم جورجان (شكل ٥٤) تظهر على هذا الإناء وحدات آدمية داخل إطارات فوق أرضية من الزخارف النباتية، وقد لونت الأوراق النباتية باللون الفيروزي، أما الوحدات الآدمية وإطاراتها فلونت بالأزرق.



(شكل٥٤) إبريق من الخزف ببريق أزرق وسطحه الخارجي مفرغ- متحف بوسطن .

كذلك ازدهرت في إيران طريقة زخرفة الأواني الخزفية بالبريق المعدني في العصر السلجوقي، وربما يرجع الفضل لانتعاش هذه الصناعة في إيران إلى الخزافين الذين هاجروا من مصر والتحقوا بخدمة السلاجقة بعد سقوط الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ واضمحلال الفنون بها. ويرجع تاريخ أقدم قطعة مؤرخة من هذا النوع من الخزف إلى عام ٥٧٥هـ. وقد كان لمدينة الري المكانة الأولى في إنتاج الخزف ذي البريق المعدني إلى أن خربها المغول عام ٦١٧هـ. ويمتاز هذا الخزف بوضوح رسومه المتقنة التكوين التي تتشابه كثيرا مع الوحدات الفاطمية.

ويتضح التطور الواضح في طريقة الزخرفة بالبريق المعدني في المنتجات الخزفية، فبدلا من رسم الزخارف بالبريق المعدني دون سائر الأرضية الذي كان معروفا في العصر السابق، أصبحت الأرضية هي التي تغطى بالبريق المعدني في حين تبقى الزخارف المرسومة بيضاء. وقد استخدم الخزافون في الري الزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية، أما الموضوعات التي نفضل فنانو الري فكانت مناظر مجالس الطرب والصيد والفروسية. يتجلى ذلك في طبق من القرن السادس الهجري زخرف بأمير فوق جواده (شكل ٥٥) ويلاحظ في زخارفه أن العناصر الحية تشغل سطح الأرضية كما تبدو واضحة فوق خلفية من زخارف الأرابيسك (أسلوب فاطمي). وتزين ملابس الفارس زخارف هندسية ونقط ، على حين تظهر على جسم الجواد زخارف لأشكال دوائر، كما تبدو في وجه الأمير سمات الأتراك التي لا تمت بصلة إلى الإيرانيين. ولقد استخدمت في أواني ذلك العصر أشرطة الكتابة الكوفية في زخرفة حافة الإناء.



(شكل ٥٥) طبق من الخزف منفذ بالبريق المعدني ،من مدينة الري/ القرن ٦هـ/ العصر السلجوقي، إيران، متحف فرير، واشنطن

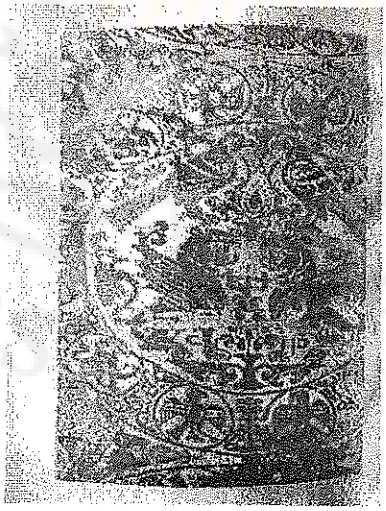
٣- النسيج :

كانت المنسوجات في أوائل العصر الإسلامي تصنع وفقا للطرز والأساليب المتبعة في صناعة النسيج عند القبط والساسانيين، غير أن الأسلوب الإسلامي قد بدأ ينمو ويتطور تدريجيا ويسود جميع البلاد

الإسلامية، وأخذت المنسوجات الإسلامية تمتاز عن غيرها بطرازها المتمثل بالشريط الزخرفي أو الكتابي المطرز أو المنسوج الذي يمتد على أطراف القطعة المنسوجة متضمنا في أغلب الأحيان على أسماء الخلفاء. ثم بدأت تحل هذه المنسوجات بالإضافة إلى ذلك الكتابات أو عوضا عنها بزخارف هندسية وتفريعات نباتية أو رسوم الطيور والحيوان ، مستخدمين ألوان مختلفة في تنفيذها كالأحمر و الأصفر والأخضر والأبيض والأزرق المزدانة أيضا بخيوط الذهب والفضة. استمرت هذه الصناعة مزدهرة في العصر العباسي وحتى نهاية العصر السلجوقي الذي تميزت فيه صناعة المنسوجات بنهضة كبيرة وشاملة وذلك بتأثير تيارين مختلفين في هذه الصناعة، الأول هو استمرار استخدام العناصر الساسانية على المنسوجات والتي تتجلى في رسم النبات والطير والحيوان أما الثاني استخدام ما ازدهر من أساليب فنية إسلامية ظهرت على أنسجة العراق متمثلة في استخدام الفروع النباتية والأشرطة.

ومنذ القرن السابع الهجري تأثرت صناعة النسيج الإيراني بالمنسوجات الصينية ويرجع السبب في ذلك إلى اتساع تجارة إيران مع الشرق الأقصى ، وقدوم الكثير من النساجين الصينيين إلى إيران ، ومن ثم ظهور العناصر الزخرفية الصينية مثل التنين – العنقاء – زهرة اللوتس – السحاب الصيني بالإضافة إلى الزخرف النباتية المحورة والزخارف الهندسية مثل الخطوط المتقاطعة والمتكسرة .

ومن أهم ما ينسب إلى العصر السلجوقي قطعة من الحرير تتكون عناصر زخرفتها من الوحدات التي عرفتها إيران قبل الإسلام؛ كشجرة الحياة التي تقف حولها وحدات من الطيور والأسود المجنحة (شكل ٥٦) بحيث تظهر هذه الزخارف داخل مناطق شبه مستديرة. أما في بلاد الجزيرة فقد احتفظت صناعة النسج في عصر السلاجقة بالنهضة التي شهدتها إبان القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري.



(الشكل ٥٦) قطعة نسيج حريرية، مزخرفة بطيور وأسود مجنحة – القرن ٥ أو ٦ هـ -العصر السلجوقي/ إيران- متحف فكتوريا وألبرت في لندن.

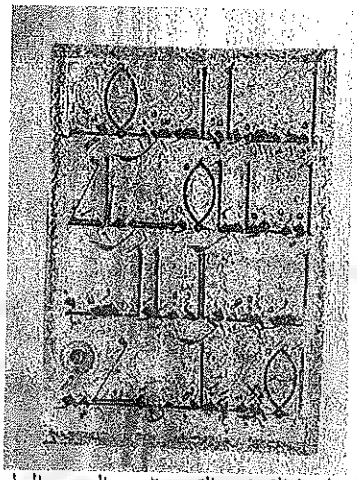
ويرجع أقدم نماذج السجاد الإسلامي السلجوقي في إيران إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وينسب ما بقي منها إلى آسيا الصغرى. وكان السجاد المصنع خلال تلك الحقبة يتميز بأن له أرضية من زخرف هندسية مكررة يحف بها من جهاتها الأربع حروف كوفية قد لا يعرف مدلول كلماتها في بعض الأحيان ، واستخدم في تلوينه مختلف درجات الأحمر والأزرق.

والواقع ان النهضة في صناعة النسج كانت عامة في الأقاليم التي خضعت لسلطة السلاجقة ولم تكن الزخارف المستعملة حينئذ في منسوجات بلاد الجزيرة وآسيا الصغرى تختلف كثيراً عما عرف في إيران في العصر نفسه فأنها تتفق كلها في التحرر من العنف والجفاف المعروفين في الأساليب الفنية الساسانية وفي الجمال الزخرفي الذي نلمسه في تأليف الرسوم واستعمال الزخارف الكتابية ومما ينسب الى آسيا الصغرى فيهذا العصر قطعة من الديباج محفوظة في الغرفة التجارية بمدينة ليون وقيام زخرفتها دوائر من أشرطة ذات وريدات وتضمهذه الدوائر رسوم سباع متدابرة لا ذيل لها فوق أرضية من زخارف نباتية.

٤- الخط والتذهيب:

كان الأسلوب الغالب في القرن الأول الهجري/ السابع الميلاديهو استخدام الخط الكوفي، وأخذت الكتابة تحلى بالزخارف من أشكال الأوراق النباتية المرسومة باللون الفيروزي وتنوعت الأساليب منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وذلك حين بدأ الخط النسخي يحتل مكان الصدارة في الكتابة.

استخدم الإيرانيون طريقة زخرفة الكتب بالعناصر الخطية والزخارف المذهبة حيث اتبعوا أول الأمر أسلوب الخط الكوفي وأدخلوا عليه طابعا خاصا امتاز بالمد والتطويل وكذلك زادوا من استخدام التشريب في المصاحف السلجوقية ، ويظهر ذلك في صفحة من مصحف مؤرخ من القرن السادس الهجري (شكل ٥٧) ، وتظهر به الآيات مكتوبة بخط كوفي يتميز بأسلوب خاص فوق أرضيات من المراوح النخيلية المرسومة بالمداد البني. أما المخطوطات فكان من ميزاتها في العصر السلجوقي ظهور الخط النسخي المدور إلى جانب الخط الكوفي المورق في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.



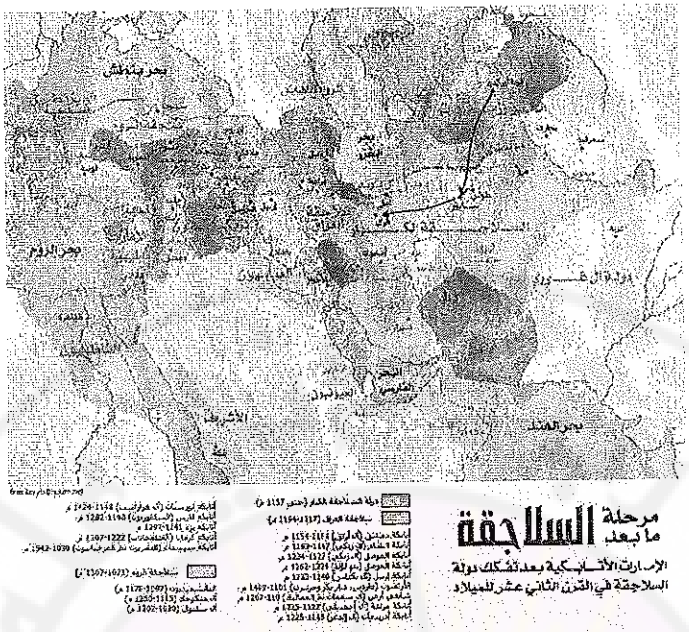
(شكل ٥٧) صفحة من صحف مكتوبة بالخط الكوفي- القرن ٦ هـ العصر السلجوقي/ إيران -متحف الدولة في برلين.

العصر السلجوقي في تركيا (٤٧١-٧٠٨/١٠٧٧-١٣٠٨)

بعد أن فرض السلاجقة سلطانهم على إيران والعراق والشام ، اتجهوا غربا تحت قيادة ألب أرسلان إلى آسيا الصغرى،ونجوا في الاستيلاء على بعض المدن التركية التي كانت خاضعة للدولة البيزنطية وأقاموا حكم محلي مستقل فيها فيما بعد ،وتمكنوا بعد ذلك من هزيمة البيزنطيين في موقعة ملاذكرد ١٠٧١/٤٦٤. واستمرت سلطة السلاجقة على جزء كبير من آسيا الصغرى لمدة قرنين من الزمن ازدهرت فيها الفنون.

في عهد السلطان مسعود الأول (٥١٠-٥٥١/١١١٦-١١٥٦) أصبحت قونية عاصمة الجزء الأوسط من بلاد الأناضول. وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ازدهر الفن السلجوقي في سذه البلاد ووصل إلى قمته في منتصفسرذا القرن في الفترة التي تمكن فيها جنكيزخان من السيطرة على سلاجقة إيران.

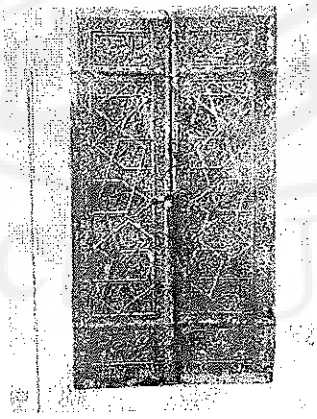
حاول الأتراك السلاجقة حكام بلاد الأناضول من مقاومة الغزو المغولي لبلادم ولكنهم لم ينجحوا في ذلك. وتكن المغول منسرزيمة السلطان السلجوقي كاي خسرو الثاني ١٢٤٢/٦٤٠ ، واستمر السلاجقة يحكمون البلاد التركية بصفة ولاة للحكام المغول الذين كان مركز حكمهم في إيران. وما لبثت الدولة السلجوقية أن زالت في أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.



١ - النحت على الخشب:

بلغ الحفر على الخشب في تركيا درجة كبيرة من الدقة والإتقان خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي.واستعمل طراز النحت المتبع على الواجهات الحجرية في أعمال الخشب ولكن على نطاق أضيق فنقشت المنابر والتوابيت وكراسي المصاحف والأبواب المنقوشة بزخارف غاية في الدقة والإتقان.

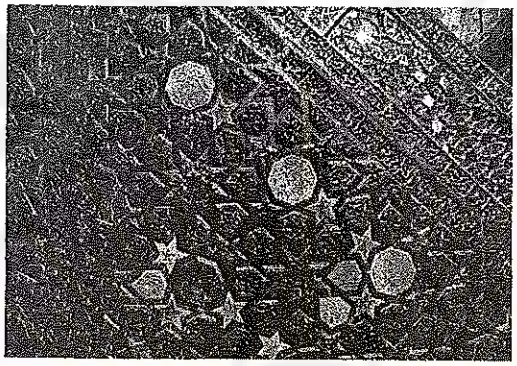
ولقد زخرفت هذه المصنوعات غالبا بزخارف هندسية. وعادت كانت الرسوم النجمية تشكل قاعدة التصاميم وهذا ما نراه في باب يرجع بتاريخه إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (شكل ٥٨) يغطي سطح الباب زخارف هندسية علـ هيئة الأشكال النجمية ويحيط بهذا الجزء المنقوش بالزخارف الهندسية إطار به زخارف نباتية دقيقة . كما يعلو الباب شريط من الكتابة النسخية.



(شكل ٥٨) باب خشبي مزخرف بنقوش هندسية ونباتية- القرن ٦ هـ قونية /العصر السلجوقي في تركيا- متحف مدينة قونية.

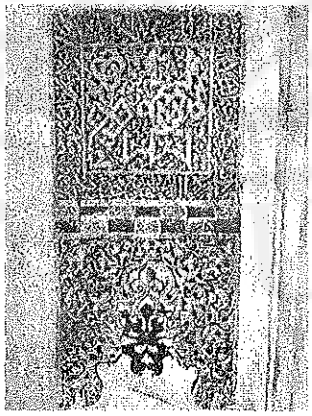
ومن النماذج أيضا على استخدام الأشكال النجمية المنبر الخشبي في الجامع الكبير في مدينة أق سراي بتركيا (شكل٥٩) الذي يجسد مثالا لروعة فن النحت على الخشب في العصر السلجوقي لما فيه من اتقان وجمال. نقشت عل ـ هذا المنبر آيات من سور الفاتحة والبقرة والإخلاص والفتح وكلمات تشيد بالسلطان السلجوقي مسعود الذي صنع المنبر في عهده.

ويظهر في بعض الأحيان ميل السلاجقة إل ـ استخدام العناصر الحية فتظهر وحدات حيوانية مع الزخارف النباتية.



(شكل٥٩) أقدم منبر محفور في الجامع الكبير في أق سراي – القرن ٧ هـ.

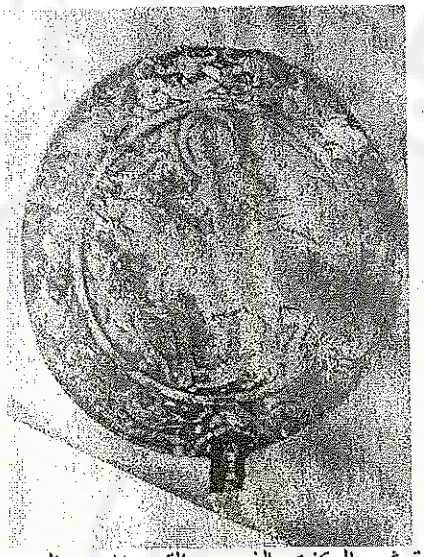
ومن القطع التي تظهر فيها الزخارف النباتية وزخارف الأرابيسك منقوشة بمهارة ، كرسي مصحف (شكل ٦٠) كان في مسجد علاء الدين بقونية ، يرجع تاريخ صنعه إل ـ القرن الثالث عشر الميلادي ،قوام زخرفته عناصر كتابية ونباتية. تظهر فيه الزخارف الكتابية محفورة حفرا عميقا في الجزء العلوي،أما الجزء الأسفل مزين بزخارف نباتية ومراوح نخيلية تنتهي أوراقها بأشكال أزرار. ويوجد عل ـ هذا الكرسي نقش باسم صانعه عبد الواحد بن سليمان.



(شكل ٦٠) كرسي خشبي للمصحف – القرن ٧ هـ - العصر السلجوقي في تركيا- متحف الدولة في برلين.

٢- المعادن :

إن صناعة المعادن في تركيا في العهد السلجوقي لم تصل إلى التقدم الذي وصلت إليه في إيران،كما أن طرق التكفيت بالفضة الذي اشتهرت فيه إيران لم يكن معروفا في مصنوعات تركيا، واقتصرت زخارف المعادن على نقشها في السطح المعدني . أما زخارفها فسجلت ميل السلاجقة إلى تطبيق العناصر الحية أكثر من استخدامهم للزخارف الهندسية. ويتضح ذلك في مرآة معدنية (شكل ٦١) تظهر بها زخارف لحيوانات تجري وتنينات، ويتوسط المرآة فارس ذاهب إلى الصيد.



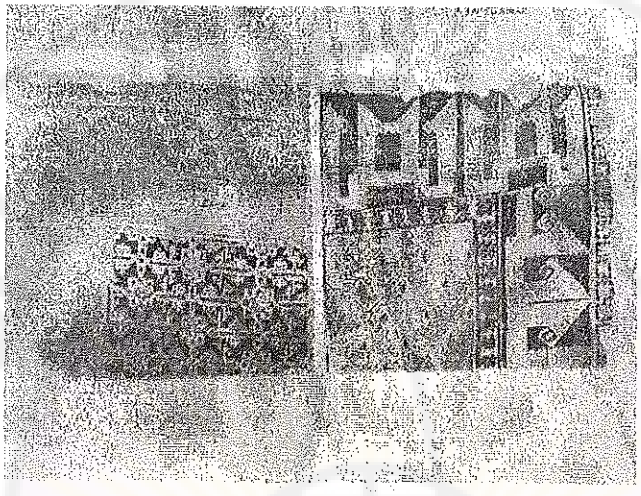
(شكل ٦١) ظهر مرآة من المعدن المنقوش والمكفت بالذهب – القرن ٧ هـ - العصر السلجوقي في تركيا- متحف توبكابي سراي في تركيا.

٣- السجاد:

يعود الفضل إلى السلاجقة في إدخال صناعة السجاد إلى العالم الإسلامي،والتي ستصبح صناعة ذات أهمية هائلة في العصور العثمانية.فصناعة السجاد المعقود كانت مقصورة على قبائل التركمان الرحل الذين كانوا يستخدمونه في بلادهم للوقاية من البرد بدلا من الفراء،واستخدموه أيضا لتغطية أرضية الخيام. وقد عرف المسلمون هذا السجاد في القرنين الثاني والثالث الهجري عندما دخلت هذه القبائل في الدين الإسلامي. وقد أكتشف عدد من السجاجيد لا مجال للشك في إرجاعها إلى العصر السلجوقي ، ويؤكد ذلك استخدام بعض القطع من هذا السجاد في مسجد علاء الدين في قونية في أوائل القرن الماضي، ويحتمل أن يرجع صناعتها إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.وبذلك يمكن القول أنه من المحتمل أن هذه الصناعة أدخلت إلى تركيا عن طريق السلاجقة.

ويظهر في هذه السجادة (شكل ٦٢) التباين في زخارفها فالجزء الأوسط يحتوي على زخارف هندسية متداخلة أما الإطار فزخرف بحروف كوفية كبيرة غير مفهومة. أما الألوان المستخدمة فهي الأحمر في الجزء الأوسط من السجادة والأزرق المخضر مع قليل من الأحمر والأصفر في الإطار.

يمكن القول إن السجاد الأناضولي المعقود الذي تطور بعد ذلك كانت هذه المرحلة هي بدايته.



(شكل ٦٢) سجاد مسجد علاء الدين بقونية -القرن ٧ هـ العصر السلجوقي بتركيا- متحف الفنون التركية والإسلامية بإسطنبول في تركيا.

أتابكة السلاجقة (٥٢١-٦٦١/ ١١٢٧-١٢٦٢)

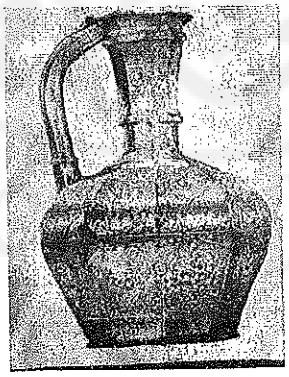
تمزقت دولة السلاجقة في إيران بعد موت السلطان سنجر الثاني في عام ٥٥٢ /١١٥٧ وانقسمت الدولة التي أسسها طغرل بك إلى دويلات صغيرة حكمها بعض أفراد أسرته، كما أستقل الولاة بحكم بعض أجزاء منها ، الذين تم تعينهم من قبل الأسرة السلجوقية ويعرفون باسم الأتابكة. استقل بحكم دمشق و حلب وحمص وحماة وبعلبك أتابكة من أسرة زنكي (وتعرف الدولة الأتابكية أحياناً بالدولة الزنكية نسبة لمؤسسها زنكي بن آق سنقر). فكانت حلب عاصمتهم الأولى ثم دمشق منذ عام ١١٥٤ م . وصلت دمشق تحت حكم نور الدين محمد بن زنكي (٥٤١-٥٦٩/١١٤٦-١١٧٣) إلى مكانة عالية من الناحية الفنية. خضعت الموصل لسلطان فرع من بني زنكي فيما بين عامي ١١٢٧ – ١٢٦٢، ولقد ازدهرت الفنون فيها في فترة حكم بدر الدين لؤلؤ (٦١٥- ٦٥٨).

المعادن : تبوأت الموصل الزعامة في صناعة المعادن في بداية القرن السابع/ الثالث عشر. اشتهروا الزنكيون بصفة خاصة في صناعة التكفيت المتقن برقائق من الأشرطة الفضية، وكذلك استخدموا شرائط من الذهب عوضا عن شرائط النحاس الأحمر الذي عرف في إيران في العصر السلجوقي، وربما انتقلت هذه الصناعة من إيران إلى الموصل في بداية القرن السابع / الثالث عشر، بعد أن سجر الصناع المهرة سراة التي اشتهرت بصناعة التكفيت إثر خروجها من حكم السلاجقة في عام ١١٧٥/٥٧١ .

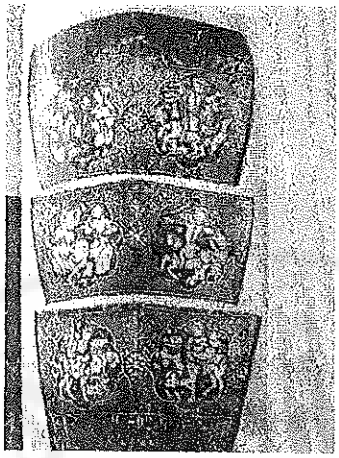
تعد مجموعة الأواني المعدنية المكفتة التي تنسب إلى الموصل من أجمل ما أنتج ، وكان للموصل أكبر الأثر في تطور هذه الصناعة بعد ذلك في سائر الأقطار الإسلامية، حيث رحل عن العراق صناع كثيرون إلى القاهرة وحلب ودمشق هربا من الغزو المغولي، و أنشأوا مراكز جديدة في هذه البلاد لصناعة التحف المعدنية وتكفيتها بالذهب والفضة، ويثبت ذلك توقيعاتهم المنقوشة على الأواني.

كانت الأواني المصنوعة في دمشق يصعب تمييزها عن تلك المصنوعة في الموصل وذلك لتشابه أسلوب صناعتها، إلا أن النقوش باسم السلطان بدر الدين لؤلؤ الزنكي حاكم الموصل الموجودة على بعض الأواني المعدنية المطعمة بالفضة أمكن من تأكيد نسبتها إلى الموصل.

يعد الأبريق النحاسي (شكل ٦٣) من أهم مصنوعات ذلك العهد، يظهر بزخارفه تأثر مدرسة الموصل بأشكال وزخارف الأواني الإيرانية . نلاحظ أنه مكفت بزخارف دقيقة لموضوعات اللهو والصيد موضوعة داخل مناطق منفصلة. ويظهر على هذا الإبريق تاريخ صناعته (٦٣٠ / ١٢٣٢) بالإضافة إلى اسم صانعه (شجاع بن منعة) الموصلي. إلا أن الفنان استخدم أسلوب مبتكر عن الأسلوب السلجوقي بإيران وذلك بتغطية سطح الأرضية بنقوش من الخطوط المتكسرة ذات زوايا أو بتفريعات للأرابيسك (شكل ٦٤). وكذلك يلاحظ بزخارف الموصل استخدام رسم أهلة يحملها بعض الأشخاص الجالسين في الواجهة، هذه الأهلة كانت قد ظهرت على بعض القطع الخاصة ببني زنكي.

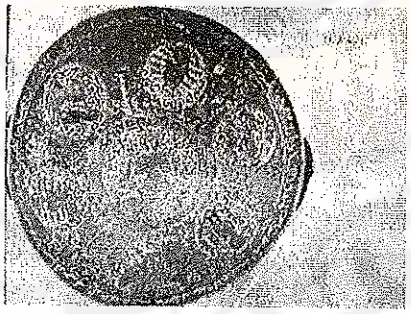


(شكل ٦٣) إبريق معدني مكفت بالفضة ، الموصل ، ٦٣٠هـ - عصر أتابكة السلاجقة- المتحف البريطاني / لندن.



(شكل ٦٤) أجزاء تفصيلية لجوانب الإبريق.

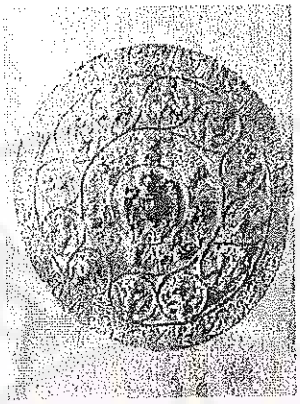
ومن أساليب الصناعة المبتكرة التي تنسب إلى ذلك العصر زخرفة الأواني المعدنية بالميناء، ويتضح ذلك في صينية من النحاس الأصفر مزينة بزخارف مطعمة بالمينا المتعددة الألوان (الأخضر والأصفر والأحمر والأبيض (شكل ٦٥). تحمل هذه الصينية اسم أحد سلاطين بني أرتق ركن الدولة داود الأرتقي الذي كان يحكم في ديار بكر وكيفا في الفترة (٥٠٨-٥٤٣/١١٠٨-١١٤٨). تتكون الزخارف من مناطق مستديرة بها وحدات آدمية وحيوانية ويفصل هذه الجامات أشجار مختلفة ورسوم راقصات، ويدور حول الصينية شريط به كتابات نسخية باسم الأمير الأرتقي. ويظهر في هذه الزخارف تأثر الفنان بالفن الإيراني قبل ظهور الإسلام ، ويعد هذا الأناء من الأواني النادرة التي استخدمت فيها المينا الملونة.



(شكل ٦٥) صينية من البرونز المغطى بالمينا يتوسطها نقش لشخص جالس، وحول الحافة توجد كتابة نسخية باسم الأمير الأرتقي سليمان بن داود، وربما صنعت لأتابكة السلاجقة في الموصل، متحف فردينالد/ مدينة إنزبرك في النمسا.

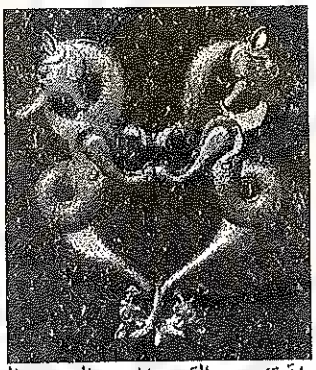
ومن الصناعات البرونزية ذات الزخارف البارزة التي زاولها الصناع في العراق في عصر الأتابكة، مرايا من البرونز عليها نقوش بارزة. يظهر هذا الأسلوب في مرآة من عهد بني أرتق مزخرفة بنقوش

بارزة لوحدات حيوانية في وضع متدابر (شكل ٦٦) ويحيط بحافة المرآة شريط كتابي يتضمن اسم الحاكم الأرتقي.



(شكل ٦٦) مرآة من البرونز بزخارف بارزة، عصر بني أرتق أتابكة السلاجقة/ العراق، منتصف القرن ٧ هـ.

أتقن الصناع أيضا عمل المصنوعات المعدنية بطريقة السباكة، ومثال ذلك قطعة معدنية تنسب إلى عصر بني زنكي في العراق مشكلة عل ـ هيئة تنينين متقابلين ملتفة أجسامهما بعضها حول بعض، أما ذيلاهما المتشابكان فينتهيان برأس لحيوان ذي منقار معقوف (شكل ٦٧)، وتعتبر هذه من الوحدات التي انتشرت في عصر السلاجقة.



(الشكل ٦٧) مقرعة باب عل ـ هيئة تنين ـ القرن ٧ هـ العصر السلجوق في تركيت- كوبنهاغن.

يعود أصل التنين الأفعوي الشكل إل ـ الشرق الأقصـ وكان انتقاله إل ـ الشرق الأوسط عن طريق الشعوب الرحالة القادمة من آسيا الصغرى. ويعود وجود هذا الحيوان فوق العديد من الأبواب، والتي تدل عل ـ فكرة العبور من الخارج إل ـ الداخل، إل ـ صفاته التعويذية.والحيوان يحمل كذلك دلالات فلكية مرتبطة بالدورة القمرية والخسوف والكسوف وذلك منذ العصور القديمة. وهو يجسّد جوزهر، الكوكب المتسبّب في تلك الظاهرة. وهذا ما يجعله يظهر دائما إل ـ جانب أشكال شمسية أو قمرية


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University